رسالة

في منزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها وأن السلف كانوا يتوقونها

تقريظ سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء
الشيخ: عبد العزيز بن محمد آل الشيخ حفظه الله ونفع به الإسلام والمسلمين

جمع وترتيب الفقير إلى عفو ربه العلي
أبو عبد الملك أحمد بن عبد الله السلمي
عفا الله عنه وغفر له ورحمه

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد
الرياض

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ = ٢٠١١ م

ح مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤٣٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السلمي ، أحمد عبد الله عبد اللطيف
رسالة في منزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها وأن السلف كانوا يتوقونها./ أحمد عبد الله عبد اللطيف السلمي - الرياض ١٤٣٢ هـ
١٢٨ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٨-٦٩-٨٠٢٨-٦٠٣-٩٧٨
١- الفتوى (أهل العفة) أ. العنوان
ديوي : ٢٥١,١٥ ١٤٣٢/٥٠٩١

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٥٠٩١
ردمك : ٨-٦٩-٨٠٢٨-٦٠٣-٩٧٨

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
هاتف : ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥٨
فاكس ٤١١٢٩٣٢ - ص.ب : ٣٢٨١
الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام



من عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ/أحمد بن عبدالله السلمي... كاتب عدل الأحساء الأولى برئاسة محاكم محافظة الأحساء وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

إشارة إلى كتابكم الكريم الموجه إلينا برقم (٣٣) وتاريخ ١٤/٧/١٤٣٠هـ وكتابكم الكريم الموجه إلينا برقم (٣٠١٧/١) والمرفق بهما صورة من مؤلفاتكم وهي:

١- جملة من الأخطاء والمخالفات المشتهرة والمنتشرة عند القبور.

٢- رسالتان موجزتان الأولى تنبيهات مختصرة وملحوظات مهمة تتعلق بتشييع الأموات، والرسالة الثانية في بيان ما يتعلق بالأيام والشهور من البدع المشتهرة.

٣- رسالة في منزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها، وتحرز السلف منها وتجرؤ الخلف عليها.

وقد رغب فضيلتكم الاطلاع عليها، وإبداء الرأي نحوها.

وأفيد فضيلتكم أنه بعد قراءة هذه الرسائل المذكورة أعلاه ألفيتها رسائل جيدة في موضوعها مفيدة في محتواها جيدة في أسلوبها حوت كثيراً من المسائل الفقهية المدعمة بالدليل وعالجت كثيراً من البدع والأخطاء والمخالفات المنتشرة عند القبور، وعند زيارة المقابر، وعند دفن الميت، وبعد دفنه، وكذلك البدع المتعلقة بالأيام والشهور والتي يروج لها الجهلة وضعاف النفوس.

وأما الرسالة التي تتعلق بمنزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها فهي رسالة جامعة شاملة مفيدة نافعة في موضوعها اشتملت على كثير من المسائل الفقهية، وبيان بعض القواعد الخاطئة: والنوازل في موضوعها مدعمة بالدليل وأقوال السلف اجتهد فضيلة الشيخ في جمع ما يتعلق بها ولاشك أن ذلك جهد كبير، وعمل مبرور إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام



ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه الرسائل يوجد فيها بعض الأخطاء المطبعية والملحوظات البسيطة -دونت في أماكنها- ينبغي الأخذ بها، واستدراكها قبل طباعتها.

وأسأل المولى جل وعلا أن يوفق كاتبها، وجامعها لكل خير، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم لقائه، ويجزيه على ذلك أوفر الجزاء وأعظمه، وأن ينفع به وبما كتب الإسلام والمسلمين، إنه سميع قريب مجيب، ويرفق كتابي هذا الرسائل المذكورة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

شكر وتقدير

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الوالد الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ حفظه الله على مراجعته لهذه الرسالة - على الرغم من كثرة مشاغله - والتي استفدت منها كثيرا و استدركت ما كان منها من أخطاء مطبعية وملحوظات سنية فجزاه الله خير الجزاء وأجزل له المثوبة والأجر وبارك في عمره وعمله إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

أحمد بن عبد الله السلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حرم القول عليه بغير علم ، فقال في محكم كتابه : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣] وقال عز شأنه : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن مما توافقت عليه العقول ألا يقبل قول من طائفة في أمر إلا إذا كانوا من ذوي الاختصاص والعلم به ، فلا ترى مريضاً يقبل قول من لا يحسن إلا السباكة أو الجزارة أو الكهرباء أو الدهان في وصف الدواء ، ولا ترى تاجراً يقبل قول من لا يحسن إلا الزراعة في استثمار أمواله .. . بل ويعزّ على أحدنا إذا ملك سيارة ثمينة أن يعرضها عند الخلل على المبتدئين في الصيانة والإصلاح ، بل تراه لا يرضى بغير وكلائها الصانعين المهرة بديلاً ، وإن من عجائب الزمان ، وغرائب العصر أن ترى كثيراً من المسلمين اليوم مع عنايتهم وفقههم لما ذكرت آنفاً يقبلون أمر دينهم ممن هب ودب ، دون تحر وتثبت لما يُشكل عليهم في أمر دينهم أو يعرض لهم من النوازل في حياتهم ، مع أنهم يقرؤون قـــول الله ﷻ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] وربما حزبهم الأمر أو نزل بهم الخطب الجلل ثم تراهم يتلفتون يمنة ويسرة يذيعون ويتلقون بألسنتهم ما يضرهم ولا ينفعهم ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٥] . ويقبلون الأحكام والفتيا ممن لا يغني وجوده ولاتضر غيبته ولا يزالون في لجج من الظلام ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

﴿يَسْتَنبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ٨٣]

كالعيس في البيداء يقتلها الظماء والماء فوق ظهورها محمول

وما أكثر ما رأينا وسمعنا أقواماً يتبادرون الفتيا قبل أربابها ، ويعترضون على الأحكام وليسوا من أصحابها ، ويقوّمون أقوال أهل العلم ، وما هم في القافلة إلا أذنابها فالله المستعان . تصدّر بعضهم لما خلت الديار ، ولما قل في الأرض النبات رُعي الهشيم .

وأيم الله ما نسب المعنّى إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اضمحلت وطوّح نبتها رُعي الهشيم

ولما اجتمع في كثير من الناس هذان الأمران : عجز وضعف في طلب أهل العلم وسؤالهم ، وجرأة في القول والفتيا ممن لا يعلمون وهذا والله هو الأمر الخطير والاعتداء الكبير والظلم الذي شره مستطير وأصاب الناس بسببه بلاء عظيم وهذا هو الواقع المرير ، وكان ما أخبر به النبي ﷺ أن اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (*) ، ولو طلبوا الحق لعلموا أن الواجب على كل مسلم أن يتعلم قبل أن يعمل ، وأن يسأل قبل أن يفعل . ولا ينبغي أن يكون شأنه وديدنه الفعل قبل العلم ما دام له إلى ذلك سبيل ، وواجب من علم أن يعمل مستجيباً خاضعاً منقاداً مستسلماً لأمر الله .

إن هذا شأن المؤمنين الذين يقولون : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ولا يختارون إذا أمر الله ولا يقدمون بين يدي الله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] (١) .

---

(١) الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية إعداد خالد الجريسي (٩-١١) .

(*) البخاري (١٠٠) مسلم (٢٦٧٣) .

أسباب طرق هذا الموضوع

يقول النبي ﷺ: «الــدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [١] وهذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ومعنى الحديث : « عماد الدين وقوامه النصيحة » وقال النووي رحمه الله : « أما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم - قلت : وعالمهم - ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأنه يحب لهم ما يحبه لنفسه [٢] من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى زيادة الطاعات وقد كان السلف رضي الله عنهم فيهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه والله أعلم» . انتهى كلامه رحمه الله [٣] .

فانطلاقاً من هذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ والتعليق عليه للإمام النووي أردت النصح لكل مسلم حباً وإشفاقاً وحيث أن المسلم سليم الصدر طيب النفس صحيح الفطرة وقاف عند حدود الله قابل للنصيحة ممتثل لأمر الله أردت النصيحة. [٤] وهذا سبب من أسباب التطرق لهذا الموضوع ومن أسبابه أيضا [٥] :

---

(١) مسلم (٥٥) وغيره وعلقه البخاري (٤٢) .

(٢) استناداً إلى حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] متفق عليه رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) وغيرهما .

(٣) شرح مسلم للنووي (٢/٣٨-٣٩) .

(٤) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان سليمان الغربي (٥-٧) .

(٥) من يملك حق الاجتهاد لسلمان العودة (٥-٦)

١ - جرأة كثير من غير المختصين على الخوض في مسائل الشريعة : أصولاً وفروعاً . وهجوم كثير منهم على الحديث في الدقيق والجليل من المسائل دون خجل أو حياء .

٢ - كون عامة الناس وجمهور الأمة أصبحوا لا يميزون : عمن أخذوا ؟ وهل يستحق أن يُسمع إليه في الشرعيات ؟ أم أنه لا يستحق أن يؤخذ منه أو يلتفت إليه ؛ فكل من تكلم في الشرع يجد من يستمع إليه ويردد كلامه ويهتم به ، مع أن هؤلاء الذين يستمعون إلى كل أحد في أمور الشرع لا يرجعون في مسائلهم الدنيوية إلا إلى أصل الاختصاص دون غيرهم ؛ فإذا كان عند أحد مريض فإنه لا يذهب به إلى البقال ؛ ليعطيه وصفة علاج ، لأنه يعرف أين مكان استقبال المرضى .

وكذلك إذا أراد ترميم منزله فإنه لا يذهب إلى الخياط ، بل يسند كل عمل لمن يحسنه ويجيده ، وممن كثرت دُربته وعظمت خبرته فيه - كما أسلفت آنفاً .

هذا في شئون دنيا الناس ، لكنهم في شئون دينهم أصبح الكثير منهم يستمع إلى كل من هب ودب ودرج . بل لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن من يتكلم اليوم في قضايا الإسلام والدين وجد آذاناً تصغي إليه .

وإذا أضفنا إلى هذا أن أسهم الإسلام - بحمد الله - قد ارتفعت وراياته قد رفرفت ، وشجرته قد بسقت ؛ فأصبح يخطب وُدَّ الإسلام والمسلمين كل أحد ، وأصبح كثير من القيادات والاتجاهات المختلفة في الماضي - في عدد من الأقطار العربية والإسلامية ، أصبحت تكتب عن الإسلام وتؤلف فيه ، وتحدث عنه ، وأصبح الحديث عن الإسلام وقضاياه شأناً للكثير ممن كانوا بالأمس يصرحون بأنهم من اليساريين بل الشيوعيين ، سواء كانوا في مصر أو في بعض بلاد المغرب العربي ، أو في بلدان الخليج ، أو في غيرها .

إذا عرفنا هذا أدركنا أن الكثير أصبحوا يتكلمون عن الإسلام ، ويخطبون وُدَّ

الجماهير ، التي تقبل على الإسلام ، وتبحث عن حكم الله - تعالى- وحكم رسوله ﷺ .

فلو تصورنا هذا لأدركنا حجم الخطورة التي تقع فيها الأمة ؛ إذا لم تستطع أن تُميز هذه المسألة .

عمن تأخذ ؟

ومن هو الذي يحق له أن يتكلم في مسائل الشرع ؟

ومن هو الذي يجب عليه أن يسكت ؟ » ا .هـ .

من تسأل من تستفتي ممن تأخذ دينك ؟ سؤال مهم جداً لا شك بأن أغلى وأعز ما لدى الإنسان دينه ولله در القائل :

الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

أقول لك يا مسلم يا مسلم من تسأل من تستفتي هل كل من لبس جبة أو عمامة وظهر في القناة الفضائية وبدأ بالحمد لله وختم بـــ والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم يكون مفتياً ، هل كل أحد يصلح للفتوى وإن كان نصيبه من العلم والتقى والورع والخوف من الله قليل سبحان الله سبحان الله .- وهذا ما سيكون الجواب عليه في هذه الرسالة -

٣ - التنبيه إلى عظم الفتوى وشأنها والتنويه على خطورتها والتحذير من الإقدام عليها والتصدي لها إلا لمن استوفى شرائطها ووضع الحدود والقواعد التي ينبغي لمن رام الفتوى أن يسير عليها وإعلامهم أن مقام الفتيا توقيع عن الله ورسوله وخلفائه فإذا خاب التوقيع هلك الموقِع وضل الموقَع له ولما كان الإفتاء : هو إخبار بحكم الله تعالى عن دليل شرعي ، لمن سأل عنه في أمر نازل [(١)] .

والمفتي : إنما هو ترجمان عن الله تبارك وتعالى بل هو الموقع عن الله .

---

(١) الفتيا ومناهج الإفتاء لمحمد سليمان الأشقر (٩) .

عظم أمر الفتوى وخطرها وقل أهلها ومن يخاف إثمها وخطرها وأقدم عليها الجهال ورضوا فيها بالقيل والقال واغتروا بالإمهال والإهمال والتساهل بها واكتفوا بزعمهم أنهم من العَدد بلا عُدد واحتجوا باستمرار حالهم في المدد بلا مدد وغرهم في الدنيا كثرة الأمن والسلامة وقلة الإنكار والملامة [(١)] وسيأتي ذكر بعض النماذج والصور والعجائب والغرائب .

ولله در الإمام مالك رحمه الله حيث قال : « أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فوجده يبكي فقال له : ما يبكيك ؟ وارتاع لبكائه فقال له : أمصيبة دخلت عليك ؟ فقال: لا ولكن استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم قال ربيعة : ولبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السراق » . رحم الله ربيعة كيف لو أدرك زماننا وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ما أحوجنا لهذه الموعظة .

٤ - إن هذا الموضوع نحن في حاجة إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى وذلك بعد أن تجرأ على الفتوى الكثيرون دون أن يتأهلوا لها مما أدى إلى كثير من الأخطاء والخطايا في فتاواهم التي تصدر عنهم والتي يعارضون بها الفتاوى الصحيحة التي صدرت عن علماء مؤهلين .

ولما كان الأمر ما قصصته عليك والخبر كما سقته إليك رأيت أن أستخير الله تبارك وتعالى وأستعينه وأستوفقه وأتبرأ من الحول والقوة إلا به في كتابة هذه الرسالة جامعاً فيها شمل نفائس التقطتها وجمعتها من خبايا الزوايا ومسائل وقضايا وفوائد ودرراً ونماذج وصوراً وهذه الرسالة ليس فيها كبير أمر بل ضم النظير إلى نظيره وإفادة نفسي أولاً وإخواني وليعلم المقصر عن شأوها المتجاسر عليها أنه على النار يجرأ ويجسر وليعرف متعاطيها المضيع لشروطها أنه لنفسه يضيع ويخسر وليتقاصر عنها القاصرون .

ومبيناً خطورة الفتوى وعظم الإقدام عليها وتورع السلف وتسابق الخلف إليها

---

(١) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي للإمام حمد حمدان الحنبلي (٤) .

على ما أنا عليه من ضعف الصناعة والبضاعة المزجاة « وخاتمة القول : هذه الرسالة تعالج مشكلة عصرية عمت وطمت ، وهي نحو ما قد قيل قديماً :

تصـــدر للتدريس كل مُهَوسِ بليد تسمى بالفقيه المـــدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلـــوا ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس [(١)]

وقد قيل هذا في التدريس فكيف بالإفتاء ؟!

وأسأل الله العون والسداد والهداية والرشاد وأن يمدنا بالعمل والورع والتقوى فهي نعم الزاد وهو ولي ذلك وله الدنيا والآخرة وإليه المعاد وهو حسبنا ونعم الوكيل . فما كان فيها من صواب فمحض فضلٍ ومنةٍ وتوفيقٍ من الله a وما كان منها من زلل فمن نفسي ومن الشيطان .

ويا أخي القارئ إن صادفت هذه الورقات صواباً فكن لي داعياً - ولك بمثل - وإن خطأً فكن لي عاذراً لا عاذلاً فرحم الله من رأى خللاً فسدده وخطأً فأصلحه وصواباً فأذاعه وخيراً فأشاعه وإذ ينتهي بي المقام إلى هنا في هذه المقدمة أبدأ بالمقصود والله الموفق للسداد والهادي إلى طريق الرشاد سائلاً الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن لا يجعله ملتبساً علينا فنضل . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين ، سبحانك اللهم وبحمدك .. أشهد أن لا إله إلا أنت .. أستغفرك وأتوب إليك ..

كتبه : في غرة جمادى الآخرة بعد الأربعمائة والألف من هجرة نبينا محمد - ﷺ -

أبو عبد الملك

أحمد بن عبد الله السلمي

---

(١) من مقدمة صلاح العالم بإفتاء العالِم للشيخ حامد العمادي . (٨-٩) لعلي حسن عبد الحميد . نقلاً من خطط المقريزي (٢/٣٨٠) .

تمهيد

وبعد إيراد ما تقدم ذكره يجدر بنا أن نقول : إن « من الأمور المقررة في الدين أن الإنسان في الحياة الدنيا مسؤول عن كل قول يتفوه به ، قال تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] ومسؤول - أيضاً- عن كل ما تقترفه جوارحه ، قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدّثر : ٣٨] حتى أنه مسؤول عن كل خطرة من خطرات عقله ونفسه إذا عمل بها ، قال تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

فالإنسان مسؤول مسؤولية مطلقة عن أعماله وأقواله وظاهره وباطنه ، وإن لم يربط كل ذلك بأحكام الدين حلال وحرام ، وأنه محاسب عن كل ذلك ، مَجْزِيٌّ عنه في الآخرة ؛ إما جنة وإما ناراً .

ومن هنا تبدو حاجة المسلم إلى السؤال والاستفسار عن أحكام الدين في كل كبيرة وصغيرة في هذه الدنيا ، إذ ليس كل مسلم على اطلاع كامل على أحكام الدين بحذافيرها » [1] .

لكي يتم له ذلك فعليه أن يتعلم من العلماء الثقات ويسأل هؤلاء العلماء عن أحكام الإسلام قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] .

ولا يرفع عن الجاهل مسئولية تعلم ما يلزمه من أمر الدين تقصير العلماء بواجب التعليم والتبليغ ابتداء إذ عليه أن يسأل أهل العلم عما يجهله من أمر الدين فالله ألزم من لا يعلم أحكامه أن يسأل عنها ويتعلمها ليعمل بها وأوجب على العلماء أن يبينوا ما عندهم من العلم ويعلموه الناس فقال جل وعلا : ﴿وَإِذْ أَخَذَ

---

(١) من مقدمة صلاح العالم بإفتاء العالِم للشيخ حامد بن علي العمادي (٣-٤) لعلي حسن عبد الحميد .

ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران : ١٨٧] . كما سيأتي بيان ذلك .

وقبل الولوج في الموضوع والبدء في المقصود نعرج على تعريف مختصر لكل من الإفتاء – المفتي- المستفتي – الفتوى مع بيان أهمية دور المفتي في الأمة ومنزلة الإفتاء وخطره؟

الإفتاء لغة : هو تبيين المبهم مصدر من أفتى يقال أفتاه في الأمر بمعنى أبان له ، والفقيه يفتي أي يبين المبهم .

اصطلاحاً : هو إبانة المبهم من الأحكام الشرعية لدى المستفتي وإخباره بحكم الله فيما يقع لهذا المستفتي من وقائع وحوادث .

فالإفتاء : هو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من الأحكام ويتضمن وجود مستفتٍ ومفتٍ وإفتاء وفتوى .

فالاستفتاء السؤال عن أمرٍ أو عن حكم مسألة .

والسائل يسمى مستفتي .

والمسئول الذي يجيبه يسمى المفتي .

وقيامه بالجواب هو الإفتاء وما يجيب عنه هو الفتوى .

ولا بد أن يكون المفتي أهلاً لذلك (فمن شروط المفتي الإسلام – البلوغ – التكليف – فقيهاً – عدلاً مجتهداً) .

أهمية دور المفتي في الأمة (حكم الإفتاء) :

المفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ فهو نائب عن النبي ﷺ في تبليغ الأحكام متحقق بقوله ﷺ : «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب » [(١)] .

وقوله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » [(٢)] .

(١) البخاري (١٠٥) .

(٢) البخاري (٣٤٦١) .

منزلة الفتوى

اعلم رعاني الله وإياك أن الله تعالى أفتى عباده ، فقال : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء : ١٢٧] ويقول : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء : ١٧٦] .

إن النبي ﷺ كان يتولى هذا المنصب في حياته ، وكان ذلك من مقتضى رسالته ، وقد كلفه الله تعالى بذلك حيث قال : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة : ١١٤-١١٥] .

ومن المعلوم أن أول المفتين من هذه الأمة ، وأرفعهم قدراً وأصدقهم قولاً ، وأبلغهم بياناً وأحسنهم قصداً وأرأفهم بالناس ، هو رسول الله الأمين على وحيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا كان منصب الإفتاء من أرفع المناصب شرفاً ، وأعلاها قدراً ، وأشدها خطراً ، وأعظمها مسؤولية أمام الله العظيم ، وأمام جماعة المسلمين ، وإنها لأمانة في أعناق المفتين . (١)

وقال الإمام ابن القيم (٢) : « وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به ، فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء : ١٢٧] . وكفى بما تولاه الله شرفاً وجلالاً إذا يقول في كتابه : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء : ١٧٦] .

---

(١) صلاح العالم بإفتاء العالِم للشيخ حامد بن علي العمادي (٤-٥) .

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (١/١٠-١١) .

فالمفتي يُوقع على العباد أحكام الله تعالى ، وهو خليفة النبي ﷺ في أداء وظيفة البيان وقد تولى هذه الخلافة بعد النبي ﷺ أصحابه الكرام ، ثم أهل العلم بعدهم . يقول الله ﷻ : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] ففي هذه الآية أدب الله نبيه ﷺ بأدب عظيم وهو الإمساك عما ليس له به علم . وعليه فالواجب على من جهل شيئاً أن يمسك عن الخوض فيه وليعلم أن هذا من مناقبه ليس من مثالبه .

فكان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .

ويقول النبي ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (١) . وفي حديث آخر : «من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خان» (٢) .

وحديث صاحب الشجة الذي رواه جابر قال : «خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال : قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال» (٣) .

وتأمل رحمك الله قول النبي ﷺ : «قتلوه قتلهم الله» .

إن مقام الفتوى والله لمقامٌ عليٌّ ، ومنزل ذكي ، ومنبر سماوي ، لا يرتقيه إلا من بلغ حده ، ولا يبتغيه إلا من فتح له من الأفق مسده ، ولا يتظاهر له إلا من أعد له في نفسه من دروع الفقه معده ، وإلا كان فيها هوانه ومرده حقاً إنها الخلافة

---

(١) متفق عليه البخاري (١/١٠٠) ومسلم (٦٧٩٧) .

(٢) أبو داود (٣٦٥٧) وصته الألباني .

(٣) رواه أبو داود (٣٣٦) وصته الألباني .

العظمى ، خلافة التوقيع عمن يعلم السر والنجوى ولسان التشريع بالقضاء والفتوى ، فلعمرك ما أعظمها من مهمة ، وما أخطرها من خطوب مدلهمة ، يخشى أن يلج فيها بساقه النحرير القوي ، ولا يأبه أن يكشف فيها عن ساقه الفارغ الدعي .

إن مقام الفتوى مقام خطير ، وشأنها لا يغيب عن ذهن كل خبير .

فليست هي بالمرتقى الذلول ، ولا هي بالمرتمى السهول ، فهل بعد ذلك يتجاسر عليها المتجاسرون ، ويتجرأ عليها الأدعياء والمتنطعون . (١)

وبتأمل ما سيأتي تحت عنوان - نماذج من حال السلف يتبين لنا منزلة الفتوى .

(١) أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح تحقيق مصطفى الأزهري (٣) .

نماذج من مواقف السلف من الفتوى
وكيف كانوا يهابونها ويتوقونها ويتدافعونها

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنه لما في الفتوى من الخطر العظيم والتبعة الجسيمة كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين يأبـــون الفتيا ويشددون فيها ويتحاشونها و يتدافعونها ولا يرون بذلك بأساً ولا غضاضة ولا يقدمون عليها إلا عند الحاجة الشديدة إليهم فيها أوعند الضرورة إذا تعينت على أحدهـــم مخافة مجاوزة الحق فيهلكون .

كل ذلك استشعار منهم لهول الموقف بين يدي الله حين يسأل المكلف ما نسبه إلى ربه وقال عنه من تحليل وتحريم أكان عن علم أم بغير علم وهل كان خالصاً لوجه الله مقصوداً به نصح المسلمين أم به دخن .

لقد كان النبي ﷺ يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي ، فيتوقف حتى ينزل الوحي فيجيب الله عما سئل فيه نبيه : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة : ٤] ، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : ٨٣] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء : ٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف : ٢٢] .

وفي حديث جبريل « قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من

السائل » [1] وفي حديث مصير من يموت صغيراً لما سئل عنه ﷺ قال : « الله أعلم بما كانوا فاعلين » [2] .

وفي حديث التأبير قال ﷺ : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » [3] .

وكلمة الصديق رضي الله عنه : « أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم » . وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها . وقال ابن سيرين : « لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب مما لا يعلم من عمر » .

وقد تدافع الصحابة رضي الله عنهم ومن أتى بعدهم من علماء السلف الفتوى طلباً للسلامة فقد روى الإمام أحمد وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأله أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول » وقال البراء : « لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا . وما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولايستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا » . وعن عمر أنه قال : « اتقوا الرأي في دينكم » وكان عمر ابن الخطاب وعلي وعامة خيار الصحابة رضي الله عنهم كانت تردُ عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيه النبي ﷺ وكانوا يجمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون ثم يفتون فيها .

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما :(من أفتى عن كل ما يسأل فيه فهو مجنون) .

---

(١) متفق عليه البخارى ٥٠ ، مسلم ٨ .

(٢) البخاري ٦٥٩٧ .

(٣) مسلم (٦١٢٨) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « إذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقر ولا يستحي » .

وذكر الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول : « ما أبردها على الكبد ، وما أبردها على الكبد ! فقيل له : وما ذاك ؟ قال : أن تقول للشيء لا تعلمه : الله أعلم » .

وقال ابن عباس : « إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله » .

صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري » .

قال سفيان : من فتنة الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت .

وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله : العالم يظنونه عند كل شيء . فقال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون » .

وقال سعيد بن جبير : ويل لمن يقول لما لا يعلم إني أعلم .

وقال محمد بن عبد الحكم : سألت الشافعي رحمه الله عن المتعة أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة ؟ فقال : والله ما ندري .

وقال مالك : « من فقه العالم أن يقول لا أعلم فإنه عسى أن يهيأ له الخير » ا.هـ بتصرف .

وعن عطاء بن السائب التابعي قال : أدركت أقواماً يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعد .

وعن الشعبي والحسن وأبي حصين وهم من التابعين قالوا : إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر .

وقال بعض السلف الصالح : « ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا ، وحرم

كذا ، فيقول الله له : كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا ، فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ولا ورد الوحي المبين بتحليله وتحريمه : أحله الله وحرمه الله لمجرد التقليد أو بالتأويل » .

وقال أبو حنيفة : « لولا الفَرَق من الله تعالى أن يضيع العالم ما أفتيت ، لهم يكون المهنأ وعلي الوزر » .

وقال مالك بن أنس : « إني لأفكر في المسألة منذ بضع عشرة سنة ، فما اتفق فيها لي رأي إلى الآن . وقال : ربما وردت علي المسألة فأفكر فيها ليالي » .

وكان يقول : « من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ، ثم يجيب » .

وقال بعضهم : « لكأنما مالك إذا سئل عن مسألة والله واقف بين الجنة والنار . وقال : ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع في حكم الله ، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه » .

ويروى أنه سـألـه رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال : « ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة ببلدنا ، ولا سمعنا أحداً من أشيخنا تكلم فيها ولكن تعود ، فلما كان من الغد جاء وقد تحمل ثقله على بغلة يقوده فقال : مسألتي ، فقال : ما أدري ما هي ، فقال الرجل : يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك ! فقال مالك - غير مستوحش- : إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن » .

وسأله آخر فلم يجبه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، أجبني فقال : « ويحك تريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله ، فأحتاج أنا أولاً أن أنظر كيف خلاصي ثم أخلصك » .

وعن الهيثمي بن جميل قال : شهدت مالكاً سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري ، وسئل من العراق عن أربعين مسألة فما

أجاب إلا في خمس . وقال : قال ابن عجلان : « إذا أخطأ العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله » . وقال سمعت ابن هرمز يقول : « ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول: لا أدري » وسئل مرة عن مسألة فقال : لا أدري ، فقال السائل : إنها خفيفة سهلة ، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير . وكان السائل ذا قدر . فغضب مالك وقال : مسألة خفيفة سهلة ! ليس في العلم شيء خفيف ! أما سمعت قول الله تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمّل : ٥] ؟

وقال القرافي : « ما أفتى مالك حتى أجازه أربعون محنكاً ، وكانوا يتهمون أنفسهم ويزهدون عن مواقف الشهرة » .

وكان الإمام أحمد يسأل عن المسألة فيتوقف أو يقول : لا أدري أو يقول : سل غيري أو سل العلماء أو نحو ذلك .

وعن سفيان بن عيينة وسحنون : « أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً » وقال الشافعي : « ما رأيت أحداً جمع الله تعالى فيه آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه على الفتيا » . وكان سعيد بن المسيب لا يفتي فتيا إلا قال : « اللهم سلمني وسلم مني » .

وقال ابن المنكدر : (إن العالم بين الله تعالى وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم) .

وقال عبيد الله بن أبي جعفر : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » . وقال سهل بن حنيف : « يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم » .

وفي « سنن الدارمي » عن عبد العزيز بن رفيع قال : سُئل عطاء عن شيء؛ قال : لا أدري . قال قيل له : ألا تقول فيها برأيك ؟ قال : إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي [١] .

وقد سئل الشعبي – رحمه الله – عن شيء فقال : « لا أدري » فقيل له : ألا

(١) نصف العلم لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥١) .

تستحي من قولك لا أدري وأنت فقيه العراقين؟ فقال: «لكن الملائكة لم تستحِ حين قالت: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]».

وقال الشعبي أيضاً: «لا أدري نصف العلم».

وعن ابن عون قال: «كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دُفِعتُ إليك لا أعرف غيرك. فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي، إلزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي به» [1].

وعن عقبة بن مسلم قال: «صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكثيراً ما كان يسأل فيقول: لا أدري ثم يلتفت إلي فيقول: تدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً لهم إلى جهنم».

وعن سحنون: أن رجلاً أتاه، فسأله عن مسألة فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام، [فقال له: مسألتي أصلحك الله، لي اليوم ثلاثة أيام].

فقال له: «وما أصنع لك يا خليلي؟ مسألتك معضلة، وفيها أقاويل وأنا متحير في ذلك». فقال له: أنت أصلحك الله لكل معضلة.

فقال له سحنون «هيهات يا بن أخي، ليس بقولك هذا أبذل لك لحمي ودمي إلى النار، ما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك، وإن أردت أن تمضي إلى غيري فامضِ تجاب مسألتك في ساعة؟».

فقال له: إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك.

فقال له: «فاصبر عافاك الله، ثم أجابه بعد ذلك».

وقد كان فيهم - رضي الله تعالى عنهم - من يتباطؤ بالجواب عما هو فيه غير مستريب، ويتوقف في الأمر السهل الذي هو عنه مجيب.

(١) جامع بيان العلم (٢/٦٦).

وفي هذا المقام يقول الخطيب البغدادي : وينبغي أن يكون توقفه في جواب المسألة السهلة كتوقفه في الصعبة ليكون ذلك عادة فقد روينا عن عبد الله بن المعتز : « التثبت يسهل طريق الرأي إلى الإصابة والعجلة تضمن العثرة » (١) .

وروي عن سحنون بن سعيد ، أنه قيل له : إنك لتسأل عن المسألة ، لو سئل عنها أحد من أصحابك لأجاب فيها ، فتترجح فيها وتتوقف ؟! فقال : إن فتنة الجواب بالصواب ، أشد من فتنة المال ـ رضي الله عنه ـ (٢) .

وأنشد بعض الأعلام في هذا المقام شعراً :

إذا استفتيت عما فيـ ـه تحريم وإحلال
فلا تعجل ففي فتوا ك أخطار وأهوال
فإن أخطأت في الفتوى فبئس الأمر والحال
وإن أحسنت لا يغرر ك إعجاب وإدلال (٣)

بلغنا عمن سمع سحنون بن سعيد : يزري على من يعجل في الفتوى ويذكر النهي عن ذلك ، وعن المتقدمين بين مُعَلِّميه ، وقال : إني لأسأل عن المسألة فأعرفها ، وأعرف في أي كتاب هي ، وفي أي ورقة ، وفي أي صفحة ، وعلى كم هي من سطر ، فما يمنعني الجواب فيها إلا كراهة الجرأة بعدي على الفتوى . (٤)

ويقول أحد السلف رحمه الله : « إني لأستحي أن يعبد الله عز وجل برأيي » .

عن محمد أنه كان إذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل ، حتى كأنه ليس بالذي كان (٥) .

وقد حكي عن أحد أئمة الشافعية وقد آلت إليه إمامة المذهب في بلده أنه خطب على المنبر وقال :

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/٣٩٥) .

(٢) نصف العلم لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥٠) .

(٣) صلاح العالم بإفتاء العالِم للشيخ حامد بن علي العمادي (٣٣-٣٥) .

(٤) أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح تحقيق مصطفى الأزهري (٧٨-٧٩) .

(٥) تعظيم الفتيا لابن الجوزي (٧٧) .

خلت الديار فَسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ومن البلاء تفرُّدي بالسُّؤددِ

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : « ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمون الله أعلم وليس هذا بناقص لأقدارهم بل هذا مما يزيد قدرهم ويستدل به على كمال دينهم وتحريهم للصواب وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة منها أن هذا هو الجواب عليه . ومنها أنه إذا توقف وقال لا أعلم فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من مراجعته أو مراجعة غيره . . ومنها أنه إذا توقف فيما لا يعرف كان دليلاً على ثقته وأمانته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل ومنها أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون التوقف فيما لا يعلم كان ذلك تعليماً لهم وإرشاداً لهذه الطريقة الحسنة » [١] .

وهذا أيضاً مما يؤثر عن بعض العلماء المعاصرين ؛ فقد ذكر عبد الرحمن بن يوسف الرحمة في « الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز » .

« والشيخ - رعاه الله - لا يتورع عن قول لا أدري ، والله أعلم ، بل هي سلاحه في كثير من الأحايين ، وهذا نهج علمي دقيق سار عليه سماحته ، بل عددت له في مجلس أكثر من عشر مرات وهو يقول : الله أعلم » . أهـ والشيخ قد توفي رحمه الله تعالى) أهـ [٢] .

هكذا كان أسلافنا يهربون من الفتوى لا لقصور في تفكيرهم ولا لضعف في علمهم بل لأنهم يهابون الله ويجلون دينه وكان كل واحد منهم يتمنى أن يكفيه غيره شأن الفتوى .

فهذه الأقوال المنقولة عن هؤلاء الأئمة الأعلام وغيرهم مما نقل عنهم وعن غيرهم يدلك على مدى تهيبهم من الفتيا وخشيتهم منها ومن تبعاتها ومن الحساب عليها .

ومع ذلك لم يتركوا هذا المنصب الخطير ويهملوا هذا الفرض المؤكد عليهم

---

(١) الفتاوى السعدية (٦٢٨) .

(٢) نصف العلم . . لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥٣) .

وعلى أمثالهم من العلماء عند الحاجة إليهم وتعينه عليهم ولهذا هداهم الله إلى الرشاد ووفقهم وسددهم فأصبحوا أئمة الهدى ومنارات الرشد ومصابيح الظلام لصدق نياتهم ورغبتهم فيما عند الله .

وللعاقل أسوة حسنة في رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين وكل خير في اتباع من سلف .

فانظر رعاك الله كيف انعكس الحال اليوم صار المرهوب منه مطلوباً والمطلوب مرهوباً يقول بشر بن الحارث : « من أحب أن يُسأل فليس بأهل أن يُسأل » .

لا سيما في هذا الزمن الذي ظهرت فيه موجات الفتن والشهوات والشبهات وكثر فيه الطرق الضالة والأحزاب المنحرفة كل حزب بما لديهم فرحون . نسأل الله العافية فليتأمل المتسرعون إلى الفتيا بغير علم ما ذكر . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

التساهل في الفتوى والتسرع إليها وآثارها ونتائجها وذكر نماذج وصور وغرائب وعجائب من ذلك

لقد ظهر في الناس أمر عظيم ، وهو الإفتاء في دين الله بغير علم وتَسوُّرَ سور العلم أناس لم ينالوا من العلم إلا أنهم نسبوا أنفسهم إليه ، وذلك أنك إذا ألقيت سؤالاً في حكم شرعي رأيت مجيبي سؤالك لا يحصون كثرة وإن تعجب فعجب أنك ترى هذا المسكين ينافح ويجادل بغير علم ولا بصيرة وشر البلية ما يضحك . ولم يسلم من هذا الداء إلا من رحم ربك وهم قليل (وكثرة الفتوى من قلة التقوى) ونعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا ، ومن أفتى قبل حينه افتضح في حينه . وذم العقلاء فعل من تزيا بغير زيه ، ولبس غير جلده ، فقالوا : تشبع بما لم يعط ، وتزبب قبل أن يتحصرم .. . ولا يجني من الشوك العنب ، فَلْيُعط القوس باريها وليعط النبل نازعها . وقالوا : أرخى له الزمام حتى عثر في فضل الخطام . وإذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب . وقيل لسفيان بن سعيد الثوري رحمه الله فيمن حدث قبل أن يتأهل فقال : إذا كثر الملاحون غرقت السفينة . وترى الرجال كالنخل وما يدريك ما الدخل . ونعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا وصدق من قال :

كل من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان

ولو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف .

وفي الحديث الصحيح : (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) [١] عياذا بالله تعالى .

وأسرد إليك نماذج وصوراً وغرائب وعجائب من التساهل والتسرع في الفتوى .

أقول: قد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن مسـألة يقولون : (قال

---

(١) متفق عليه . البخاري (٥٢١٩/٩) ومسلم (٢١٣٠/٣) .

الله تعالى كذا ، قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط) . فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور .

* فلما طال العهد وبعد الناس عن نور النبوة ، صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم ، فصرحوا في كتبهم أن قول الله ورسوله ﷺ لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين [١] وإنما يحتج بكلام الله ورسوله ﷺ فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة . (وأما فروعهم فقنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ولا عن الإمام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم ، بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ، ويبيحون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف . وأجلهم عند نفسه وزعيمهم عند بني جنسه من يستحضر لفظ الكتاب ويقول : هكذا قال ، وهذا لفظه ، فالحلال ما أحله ذلك الكتاب ، والحرام ما حرمه . والواجب ما أوجبه ، والباطل ما أبطله ، والصحيح ما صححه) [٢] .

* ليتأمل في هذا من يؤلف في بعض البدع ، ويظهرها بقالب شرعي - في زعمه - تزلفاً للعامة وتفانياً في العادات ، ومعاندة لمن أفتى ببدعتها مكابرة وقحة .

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

إن الذين يفتون بتزيين البدع - وكثيرٌ ما هم - ليعلمون أن الذي يزينون هو من البدع أصلاً ، ولكنها الشهرة والمال والمنصب والزلفى للعامة ، وأمثال هؤلاء ممن باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد أفرغ قلبه من الاعتبار ، وختم بنفسه على فؤاده ، إلا من رحم الله تعالى .

---

(١) وقد بليت هذه الأمة ورزئت بالآرائيين العقلانيين فعظمت جناية هؤلاء على آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ فإنها إذا وردت بخلاف آرائهم وأفهامهم حرفوها عن مواضعها وحملوها على غير ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ سبحان الله سبحان الله لم اللجوء إلى العقل والرأي مع وجود النقل فإذا وجد النص فلا رأي ولا اجتهاد بإجماع أمة الإسلام .

(٢) خطر الإفتاء بغير علم لصالح القرشي (٢٤) .

وأَخْيَبُ ما قيل في بعض بدع الاعتقاد - تزييناً لها - ما قاله بعضهم في دعاء غير الله من أصحاب الأضرحة قال:

« أرأيت إن أردت أن تدخل على أحد الرؤساء في مصلحة لك: أتدخل عليه وحدك أم من الخير أن تصحب إنساناً قريباً إلى قلبه، محبوباً عنده؟ فهكذا أنت تقول: يا حسين، يا سيدة .. . توسطي لي عند ربك. كما تبتغى الوسائل عند أهل الزلفى من الرؤساء».

فانظر كيف ضربوا لله مثل السوء فضلوا. وفي أحشاء كلامهم من الفساد ما يغنينا عن تكلف مناقشته، وإنما أوردناه على سبيل التشهير والاعتبار. (١)

حتى انخدع بهم من انخدع فصار يهون من أمر العقيدة وشأنها وإليك بيان ذلك:

* (بعض الناس يفزع ويضطرب .. ويحزن إذا رأى كثرة الزناة وشراب الخمور بينما لا يتأثر وهو يرى كثرة من يتمسحون بأعتاب القبور ويصرفون لها أنواع العبادات .. مع أن الزنى وشرب الخمر معاص كبار ... لكنها لا تخرج من ملة الإسلام .. بينما صرف شيء من العبادة لغير الله هو شرب يموت به الإنسان كافرا .. ولذا كان العلماء الربانيون يجعلون تدريس العقيدة أصل الأصول .. كان أحد المشايخ قد ألف كتابا في أهمية التوحيد .. وأخذ يشرحه لطلابه .. ويعيد ويكرر مسائله عليهم ..

فقال له طلابه يوما: يا شيخ نريد أن تغير لنا الدرس إلى مواضيع أخرى .. قصص .. سيرة .. تاريخ .. قال الشيخ: سننظر في ذلك إن شاء الله .. ثم خرج إليهم من الغد مهموما مفكرا .. فسألوه عن سبب حزنه فقال: سمعت أن رجلا في قرية مجاورة .. سكن بيتا جديدا .. وخاف من تعرض الجن له فذبح ديكا عند عتبة باب البيت .. تقربا إلى الجن .. ولقد أرسلت من يتثبت لي من هذا الأمر ... فلم يتأثر الطلاب كثيرا ... وإنما دعوا لذلك الرجل بالهداية .. وسكتوا .. وفي

---

(١) الفتاوى في الإسلام لجمال الدين القاسمي (١٢٢-١٢٣).

الغد لقيهم الشيخ .. فقال : تثبتنا من خبر البارحة .. فإذا الأمر خلاف ما نقل إلي .. فإن الرجل لم يذبح ديكا تقربا إلى الجن .. ولكنه زنا بأمه .. فثار الطلاب وانفعلوا ... وسبوا وأكثروا ... وقالوا لا بد من الإنكار عليه ... ومناصحته .. وعقوبته .. وكثر هرجهم ومرجهم .. فقال الشيخ : ما أعجب أمركم ... تنكرون هذا الإنكار على من وقع في كبيرة من الكبائر .. وهي لم تخرجه من الإسلام ... ولا تنكرون على من وقع في الشرك ... وذبح لغير الله ... وصرف العبادة لغير الله . فسكت الطلاب .. فأشار الشيخ إلى أحدهم وقال : قم ناولنا كتاب التوحيد نشرحه من جديد .. والشرك أعظم الذنوب (إن الشرك لظلم عظيم) ..ولا يغفره الله أبدا .. والجنة حرام على المشركين ... وهم مخلدون في النار قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة : ٧٢] . ومن وقع في الشرك ... أفسد عليه هذا الشرك ... جميع عباداته من صلاة وصوم وحج وجهاد وصدقة .. قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]) . أ هـ من (اركب معنا ص ١٢٩) .

- وإن بعض المتعيلمين يقعون فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة في التحليل والتحريم والإيجاب ، فيتكلمون فيما لا يعلمون ، ويجملون في الشريعة ويفصلون ، وهم من أجهل الناس في أحكام الله ، إذا سمعت الواحد منهم يتكلم ، فكأنما ينزل عليه الوحي من جزمه فيما يقول وعدم تورعه ، لا يمكن أن ينطق بـــ : لا أدري ، أو لا أعلم ، مع أن عدم العلم هو وصفه الحق الثابت ، وهذا أضر على الناس من العامة ؛ لأن الناس ربما يثقون بقوله ، ويغترون به ، وليت هؤلاء يقتصرون على نسبة الأمر إليهم ، لا بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام ، فيقول : الإسلام يقول كذا ، والإسلام يقول يرى كذا ، وهذا لا يجوز ، إلا فيما علم القائل أنه من دين الإسلام ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو إجماع المسلمين عليه . وبعض الناس على جرأته وعدم ورعه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه ما أظن

هذا حراماً ، أو عن الشيء الواجب الواضح وجوبه ما أظن هذا واجباً ، أما جهلاً منه أو عناداً أو مكابرة أو تشكيكاً للناس في ذلك .

ويا ليتهم يرجعون في ذلك لأهل العلم ولا يخوضون ويفتون ويتقولون على الشريعة فهذا من المحرمات الذي قرنه الله بالشرك .

أخي أخي : إنني أحذرك يا مريد النجاة وباغي الخير من الاغترار بالمنحرفين ودعاة الضلالة الذين يجوزون سؤال الأولياء والصالحين من الأموات ويعلقون بغير الله ويسببون لهم الأوهام والخرافات التي لا مستند لها من الشرع ؛ لأن الله لا يعبد إلا بما شرع ، فهؤلاء المضللون إما جاهل غبي أو داعية سوء أعماه هواه وحبه لسمعته وشهرته ودنياه ، يريد أن يبقى صديقًا للجماهير لا ينكر عليهم بل يفتي لهم بجواز دعاء غير الله وطلب الشفاعة من أهل القبور ويشجعهم على ذلك ، أو منافق يتظاهر بالصدق ومحبة الخير ولكن قلبه يأكله الحقد على السنة ومتبعيها ودعاة التوحيد والعقيدة [١] .

* وإنه لمن الظواهر الخطرة أن صحوتنا الإسلامية المباركة وتفتح أفكارنا إسلامياً وتوجه كثير من شباب هذه الصحوة إلى العلم الشرعي الذي هو مطلب ذوي النفوس والهمم العالية أنه يواكبه شيء من التسرع في الفتوى وإعطاء الآراء ذات التحليل والتحريم والتسنن والابتداع بدون ما تتطلبه من تروي .

ولقد أسلفت أن العلماء وطلبة العلم بأقوالهم وأفعالهم يبينون شرع الله وعلى رأي ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) : يوقعون عن الله .

وإنه ليجدر بمن هذا مقامه أن يكون على حال تتلاءم مع ما يمثله حسن السيرة نقي السريرة متشابه السر والعلن في مدخله ومخرجه وسائر أحواله عدلاً ثبتاً ورعاً صادقاً مراقباً كأنه يراه ، رحماك ربنا نعوذ بك اللهم من أن نكون على خلاف ما يراد منا ويظن بنا من خير .

---

(١) مسائل مهمة في زيارة الأموات لعبد الله السلوم (٦ -٧) .

* ما أكثر المفتين - بغير علم - المتصدين لكل شائكة تمر بالناس في دينهم ، فتجد من لا علم لديه بأبسط المسائل المتعلق بالصلاة قد انبرى للإفتاء للناس بما يريدون وفق هواه ! ولقد كان كبار الصحابة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يتدافعون الفتوى بينهم حتى تعود لأولهم ، وذلك خوفاً من الفتيا - وتقدم ذلك - .

ومن المؤسف حقاً أن تجد البعض عند الخوض في علم من علوم الدنيا يوقفك بشدة قائلاً : لا تتكلم عن هذا الأمر ، واتركه لذوي الاختصاص ، أما مسائل الدين فالتصدي لها مشروع لكل أحد ؟! ، فهي على حد قولهم سهلة يسيرة .

فمسائل الشرع ليست كذلك - كما يظن البعض - فإن المتكلم فيها يعبر عن حكم الشرع ، ويترجم عن الله ورسوله ﷺ ولا يأتي بشيء من عنده حتى يتساهل فيه ويتهاون ، فهل تنبهنا لهذه النقطة ؟ (١)

فليس كل من تصدر للعلم صار عالماً ولا من تجرأ على الفتوى دخل في زمرة الفقهاء ، ولا من كبر سنه عظم شأنه ، فالجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً (٢) .

* أقول : بل الأدهى والأمر من مسلم يستفتي علمانياً أو منافقاً أو حداثياً عدواً للدين من الدين مارق أو ينسب الإرهاب والتفجير والتخريب والتدمير والتكفير إلى الإسلام أو يستبيح قتل المستأمن والمعاهد بل والمسلم .

* ومن أشد ما تعانيه الأمة أولئك الذين يتصدون للفتاوى ، وليسوا لها بأهل ، فلبسوا الملابس الخاصة ، تلك التي توهم أن مرتديها من العلماء ، ولما كانوا يعانون من ضيق الوقت بحكم العمل أو الوظيفة أو من ضعف القدرة على إدامة النظر في الكتب ، أو من ضعف الفهم ، أضف إلى هذا خجلهم أن يقولوا لما لا يعلمون : لا أعلم ، وجدوا أنفسهم ينصاعون لتلبيس الشيطان ، فأفتوا بلا

---

(١) الفريد في المخالفات لأسامة العبد اللطيف (٥٧-٥٨) .

(٢) يا طالب العلم أقبل لأسامة بن محمد الجمال (٧٧) .

علم ، واعتمدوا آراءهم المجردة ، فليس كل من تزيا بزي العلماء وتحلى شكلا بالعلماء الموثوقين يكون عالما .

وإذا ما تحركت بذرة الخير في قلوب أصحاب الأهواء ، وشعروا بالحرج من الفتاوى؛ رفع الشيطان لهم راية «الدين يسر» ، فزال الحرج من النفوس ، وانهمرت الفتاوى كالمطر .(١)

* أن بعض الناس يضيعون دينهم ويتتبعون الرخص ويفرحون بمن يفتيهم بما يوافق أهواءهم بل بعضهم إذا سمع فتوى توافق هواه ومزاجه طار بها فرحاً ومدح المفتي قائلاً : هذا هو الشيخ العالم... هذا هو الشيخ الذي يفهم الواقع.. .هذا الذي يعيش جراح المسلمين . يقول هذا عن الفتوى وإن كانت تخالف الكتاب والسنة أو فيها تمييع للدين ... أو تساهل بالنصوص الشرعية ... أو تحايل للبحث عن الرخص والأقوال الضعيفة والفتوى الرخيصة التي تشتهيها النفوس المريضة ضعيفة الإيمان المهم أنها فتوى عندهم نسأل الله السلامة وها نحن نتجرع المرارات والويلات والغصات في زمن صار يتلقى شرع الله وأحكام الله ليس من أهله بل من جهات لا يحصيها إلا الله فالمحطات الفضائية والإنترنت والصحف وتصدر الجهال والجرأة في القول على الله بلا علم وأخذ العلم من غير أهله والتصدر للفتوى واغترار بعض أهل الشهادات بشهادتهم التي أخذوها من الغرب ودعوى العلم بل فتح باب الاجتهاد للجهال والمتفيقهين وعدم الاعتماد على فهم السلف والاستنارة بهديهم نتيجة ذلك اتهم الدين من قبل المنافقين والعلمانيين وأهل الحداثة بأنه هضم حق المرأة واعتبروا التبرج والسفور والتعري تطورا والربا تنمية أموال والتمسك بدين الله رجعية وتأخر بل بلغ ببعض الجهلة المغرضين الحاقدين على بلاد المسلمين أن أباحوا إراقة الدماء والتكفير والتخريب والتفجير .

(١) المظهرية الجوفاء وأثرها في دمار الأمة لحسين العوايشة (٨٢) .

ومن ذلك ما يتفوه به العلمانيون [١] والمنافقون ممن تأثر بالحضارة الغربية الزائفة الدين في المسجد وبس ، إذا كنت مع المصلين فصل وإذا كنت مع المغنين فغن ، ساعة لربك وساعة لنفسك ، الناس تريد هذا ، هذا ما الناس عليه ، ما للإسلام وسلوكنا الشخصي ، ما للإسلام والتعري في الشواطئ ، ما للإسلام وزي المرأة في الطريق ، ما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسية بأي سبيل ، ما للإسلام وتناول كأس من الخمر لإصلاح المزاج ، ما للإسلام وهذا الذي يفعله المتحضرون ، الدين لله والوطن للجميع ، ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ، من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يوصم بقولهم التدخل في شئون الآخرين فضولي تدخل فيما لا يعنيه لا يضركم من ضل إذا اهتديتم كل محشور في قبره ، كل عنز معلقة بقرونها وإدخال أنفه فيما لا يعنيه ، قولهم لا تقحم الدين في كل شيء ، للشرع حدوده وللعلم مجالاته ، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى حرية الرأي والسلوك الشخصي . القول بحرية الفكر - حرية التدين - حرية الاعتقاد . إن الإسلام فيه تجديد تشريع ، قول بعضهم في بداية حديثه باسم العروبة أو الشعب أو الوطن .

ومن ذلك أنهم يقولون الدين ما أحد يقدر ، الدين طويل وعريض فيه مشقة وتكاليف ، الدين يحتاج إلى أمثال الصحابة فقط . الصحابة ما نقدر نلحقهم ، نحن ما نستطيع أن نلتزم بالدين وصعب القيام به كله ، ونحن في آخر الزمان ، واختلفت المجتمعات والعادات والبيئات ، ونظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، وأن الإسلام محصور في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة فلا علاقة للإسلام في التجارة أو الاقتصاد أو الإعلام أو الأحوال الشخصية كالزواجات وغيرها ، وأيضاً من ينكرون الاحتفال بالموالد ومدح

(١) والمدلول الصحيح للعلمانية أنها إقامة الحياة على غير الدين وهي نظام طاغوتي جاهلي كافر ومن شعاراتها (تطوير الشريعة) (مرونة الشريعة لتلبية احتياجات العصر) (تقنين الشريعة) (التدرج في تطبيق الشريعة) .

الرسول ﷺ فوق منزلته يوصم أنه لا يحب الرسول ﷺ أهل جفوة وقساة قلوب وهابيون حنابلة .

وأيضاً يذمون العالم الرباني التقي الورع ، أما من يتساهل بالفتيا ويجاري المجتمع ويريد إرضاء المجتمع وإقبال الناس عليه ولو في مخالفة الشرع فيمدح ويشهر بينهم ويسمى العالم الوسط المرن الشيخ العصري ، شيخ الجيل ، شيخ الشباب .

ومنها وصم الشريعة الإسلامية بأنها شريعة جمود وتطرف وأن فيها وحشية وعدم رحمة إذ كيف تقطع يد السارق ويرجم الزاني المحصن ويجلد الزاني الغير محصن ويقتل القاتل .

ووصم الشاب الملتزم بهدي الرسول ﷺ وسنته ظاهراً وباطناً بأنه متطرف متزمت متشدد متعصب أصولي ومن يرافقه يصاب بالهوس والجنون والوسوسة والكبت والعقدة النفسية . ويسمى تقصيره لثوبه إلى الكعبين دروشة وإعفاء لحيته[١] تسمى بداوة وتخلف ووساخة وقذارة ونسوا أو تناسوا أنها من هدي النبي ﷺ وأنها جمال وهيبة ووقار ورجولة . أما المرأة إذا قصرت ثوبها سمي تمدن وحضارة ومواكبة للموضة .

ويسمون كتب العلم الشرعي ، الكتب الصفراء التي مضى عصرها ووقتها أو إن علماء المسلمين أهل بداوة وبلادة وتخلف وغباوة وإذا رأوا من يذكر الله قالوا هذا منافق مرائي يريد أن يرينا أنه صالح .

ويسمون المجاهدين ثوار ، أو أهل انتفاضة ، أو هي حروب أهلية لا علاقة لها بالدين .

وإذا سمعوا بالخسوف والكسوف قالوا الطبيعة ولا يعني ذلك شيئاً . أو إسناد

---

(١) وبعضهم يسمي اللحية عوارض وأنها ليست من اللحية فيجوز حلقها علماً أن اللحية هي ما نبت من الشعر على الخدين والذقن وهي اسم لما نبت من الشعر على العارضين والذقن فالعوارض من اللحية ولا يجوز حلقها .

بعض التدبير والتصرف إلى الطبيعة والسماء والآلهة والصدفة وقولهم الصدفة فعلت الطبيعة أوجدت وكونت أو قولهم لا إله والحياة مادة أو ينادي باسم الآلهة أو يقول أقسمت برب الآلهة ، شاءت الظروف كذا وكذا ، شاءت الأقدار كذا وكذا .

ومن الأمور الفاشية تهاونهم وتساهلهم بإكثارهم لكل أمر تهواه نفوسهم ولو كان محرماً ومن يعترض عليهم يقولون له الضرورات تبيح المحظورات والدين يسر ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فيرتكبون المعاصي والمنكرات من شرب للمسكرات وكشف النساء وجوههن للأجانب بل والخلوة بهن والسفر معهن وأكل للحرام من ربا وغيره وتضييع للصلوات بل ربما أحلوا الحرام لأتفه الأسباب ولأي عارض يعرض أو بدون عارض أحياناً إن هو إلا الهوى والمزاج والشهوة . وما عرفوا الضرورة ومتى تكون وأنها لا تكون في جميع المحرمات وأن الضرورة تقدر بقدرها فقط دون التوسع فيها وإذا اندفعت الضرورة وجب الانكفاف ، وهناك فرق بين الضرورة والحاجة ، ويجب عدم الاستفتاء إلا أهل العلم والتقى والورع فلا يستفتى فاسق أو جاهل أو صاحب هوى وبدعة .

وذاك نفعي مستهزئ يستقدم عاملاً كافراً مفضلاً إياه على المسلم ثم يتبجح بقوله : « لو أتينا بمسلم لأشغلنا وقطع وقتنا وعملنا بالصلاة » وآخر يقول : « الكافر آمن وأفضل من المسلم » .

ومنهم من يقول للمرأة المتحجبة التي تلبس العباءة عليها خيمة وبعض الوقحين الخبيثين يستهزئ ويقول : لو كان في اللحية خيراً ما نبتت في الفرج .

وبعضهم يقر اتخاذ العشيقات والخليلات والسفر إلى بلاد العهر والباغيات وإذا سمع أن فلاناً تزوج ثانية أنكر عليه بكل عنف وشدة وأنه ارتكب محرماً ، وأنه قد جن وخرج عن عقله .

ومنها تمزيق المصحف وإطفاء السيجارة بالمصحف أو إلقاؤه في الزبالة ووطئه بقدمه أو مد رجليه إليه بقصد الامتهان ، أو يقول بأن القرآن ناقص أو متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو أنه أساطير وقصص خيالية أو ما أخر

المسلمين عن التقدم الحضاري إلا القرآن وهذا القرن عصر الذرة والفضاء والذرة فلا يتناسب مع القرآن أو إذا سمع القرآن يقول دعونا من هذا الكلام الفارغ أو إذا سمع أحكام الشريعة قال لا زلتم تتمسكون بهذه القشور أو يقول ما يدرينا لعل أصحاب العقائد المنحرفة من صوفية أو قبورية أو خرافية على حق . القرآن مخلوق ؛ القرآن حكاية الله ؛ يحكي القرآن ، القرآن عبارة عن كلام الله ، نَسيت آية كذا أو قول : قال رسول الله على لسان الله . ومنها لجوء بعضهم تحت شعار التيسير والتسهيل على الناس إلى الأقوال الشاذة والضعيفة والمنحولة المدسوسة على قائلها فتخرق أسوار الشريعة وتتجاوز حدودها وهذا لا يجوز لنا أبداً سواء كان ذلك بحسن نية أو بسوء نية .

وترى أرباب السوء من منافقين وعلمانيين وأهل الشهوات من أجل رفع الباطل ونشره وإخفاض الحق وطمسه زينوا المعاصي بتسميتها بأسماء محببة لأنهم لو تركوا المعصية على حالها ثم دعوا الناس إليها لنفرت منها الطباع السليمة وكرهوا الحق بتسميته بأسماء منفرة وإليك جملة من الأمثلة :-

يسمون التبرج الفاضح والتعري والسفور بحرية المرأة . ويسمون خروج المرأة من عفافها وفضيلتها وحجابها تحريراً للمرأة ويسمون الزنى تعاطي للحب ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن . ويسمون المغنية الفاجرة الفاسقة فنانة . ويسمون الممثلة الخليعة بطلة ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والدياثة تحت اسم الفن سبحان الله لأنهم يعلمون أنهم لو قالوا موعدكم غداً الاستماع إلى المغني الفاجر الفاسق فلان الفلاني لم يجبه أحد لا والله بالفطرة تشمئز منها النفس ولكنهم يقلبون هذا الاسم فيقولون موعدنا غداً مع المغني القدير صاحب الصوت الجميل والممثل الممتاز وهكذا لكي يغووا الناس ويجروهم إلى باطلهم فتلك حيلهم منذ خلق آدم عليه السلام إلى يومنا هذا كما سموا الربا المحرم الملعون صاحبه والمحاربة لله . بالفوائد أو استثمار أو تنمية للأموال فيمسحون اسم الربا وسموا الحجاب المتبرج حجاباً شرعياً يعني كشف الوجه والكفين والقدمين . وسموا الكذب المحرم كذباً أسود محرماً وكذباً أبيض أو أصفر

أو أخضر مباحاً كما يقولون . وسموا الغيبة المحرمة بنص الكتاب والسنة نقداً . وسموا الصدق في الموعد الذي أمر الإسلام به موعداً إنجليزياً . وينبزون المسلمين ويمدحون الكافرين فيقولون الكفار عندهم الأمانة والصدق وسبحان الله أي أمانة وأي صدق بل وأي ذمة من كافر . وقالوا بأن الموسيقى المحرمة - الهادئة خاصة- أنها علاج للأمراض النفسية فبها تسكن النفس وينشرح الصدر . وسموا الخمر مشروباً روحياً ومنهم من قال إنها علاج ؛ ومن الذي أباح الخمر للعلاج ؟ وأباحــوا الاتصال بالخليلات واتخاذ العشيقات منعاً للكبت النفسي عند الشباب . وسموا العشق والغرام والحب المحرم الشهواني الذي هو وسيلة للزنى وذهاب للشرف وانتهاك للعرض حباً شريفاً عذرياً وعلاقات شريفة لا مانع منها . وســموا السفر إلى بلاد الفجور والدعارة والعهر ترفيه ونقاهــة واستجمام وترويح وتنفيس وتغيير جو فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهكذا عندما انقلبت الموازين عند بعض الناس حتى أنهم سموا الأمر بالمعروف فضولاً والنهي عن المنكر تطفلاً . والتمسك بدين الله تزمتاً والتمرد على شرع الله تحرراً . وبغض الكفار ومعاداتهم تطرفاً . وموالاتهم ومحبتهم توسطاً واعتدالاً والداعي إلى تحكيم شريعة الله أصولياً ، والحاكم بغير شريعة الله حكيماً ؟ ! . والكذب سياسة والنفاق لباقة . والسكوت عن قول الحق حكمة ، والصدع بالحق فتنة . والناصح عدواً والعدو صديقاً والمجرم بطلاً والمحق مبطلاً ، والمصلح مفسداً والداعي إلى الفساد مصلحاً ، والتهور شجاعة ، والفوضى حرية . والحجاب تخلفاً وتأخراً ، والتبرج تقدماً ، والزواج قيداً والتعدد جريمة ، والتعلق بغير الله حباً والحب لله ولأوليائه فجوراً ، والفجور تسلية ، والغش ذكاء والرشوة هدية ، والصلاة عادة والزكاة غرامة ، والصيام كسلاً ونوماً ، والحج نزهة ، والعلم تكسباً ، واتباع الأئمة أهل الدليل تعصباً . والدعوة إلى الله تحزباً ، وتتبع الرخص ديناً ، والفقه جموداً ، والأدب انحلالاً ، ، والرياضة غاية . وما إلى ذلك من ألفاظ حتى ظن الشباب والشابات أن سوء الأدب الذي يقرؤونه

أدباً والخلاعة والفجور والانحلال فنا وإن الإجرام بطولة وأن الضلال والغواية التي تتمكن من مدمني سماع الأغاني الماجنة طرباً وأن التعري والتبرج موضة وأن البعد عن منهج الله تقدمية وأن اتباع منهج الله رجعية . وكذا من تعبيراتهم « الخيانة الزوجية » وهو تعبير مخفف عن جريمة الزنا واعتباره تفريطاً في حق إنسان عادي أما نحن المسلمون فنرى الزنا تفريطاً في حق الله قبل أن يكون تفريطاً في حق عباده .

وإطلاق (الشرق الأوسط) وهي كلمة دخيلة ومن أجل تسويغ إقامة الدولة اليهودية في المنطقة فإنها لو بقيت في التسمية منطقة إسلامية أو حتى عربية فكيف تقوم فيها دولة لليهود . (ستبقى القدس عربية) والصحيح أن يقال ستبقى القدس إسلامية . (الأجانب) بدلاً من الكفار . أو (الآخر) بدلاً من الكافر (والتراث) بدلاً من الإسلام (والحرب) بدلاً من الجهاد (والوطنية) بدل من الإسلامية . تسمية يهود (بإسرائيل) والنصارى (بالمسيحيين) (والنصارى خير من اليهود) (أهل الكتاب ليسوا كفار) .

إطلاق عبارة (رسول السلام) على الكافر .

ومن نتائج الإعجاب بالحضارة الغربية كما يزعمونها حضارة - وعواقبها الوخيمة غير ما تقدم -

انتشرت ظاهرة التشبه بغير المسلمين بشكل كبير في أوساط الشباب والفتيات حتى أصبح هذا الأمر المحرم شيئاً مألوفاً عند كثير من الناس .

فهذا يلبس السلاسل الذهبية والقلائد في عنقه ، والأساور في يديه . أو لبس الصليب .

وهذا يلبس القبعات الغربية ويسير في الشارع بالسروال القصير دون خجل أو حياء !

وهذا يلبس الملابس التي عليها صور المشاهير من اللاعبين والمغنين والممثلين .

أقول سبحان الله سبحان الله ضعف الدين عندهم وزهدوا فيه واتبعوا شهوات

البطون والفروج والمال فالحلال ما حل في أيديهم والحرام ما حرموه . وتكلم الرويبضة ونطقت العلمانية والحداثة وأهل الأهواء والشهوات وصار الكل يفتي ويتفوه بما عليه فكره وهواه ومعتقده نعم صار كل يدلي بدلوه ويتكلم في دين الله !! .

آه لو يعلم المفتون في هذه الأيام عمن ينوبون في فتواهم ، لاستكثروا من العلم ولاستقلوا من الفتوى ولابتعدوا عن السلطان ولاقتربوا من القرآن . ولكن الكثيرين ممن يتصدون للفتيا يجعلون همهم إرضاء الحكام بالفتاوى الضالة ، أو على الأقل بتمييع الأمر في مواطن الفصل عندنا على ذلك أمثلة كثيرة - ذكرنا بعضها - كما أن بعضهم بدلاً من أن يحاول تغيير العرف السائد بالفتاوى الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تجدهم يعدّون هذا العرف شيئاً مستقراً ، ويدافعون عنه بالفتاوى المضلة ، كما سئل بعضهم عن قول الرجل « صباح الخير ومساء الخير » فأجاب بأن ذلك أمر جائز ، وافترى على النبي ﷺ كذباً فقال « أن النبي ﷺ قد صنع ذلك فكان يخرج على القوم فيقول : « كيف أصبحتم » و« كيف أمسيتم » .

وأتركك يا أخي تعجب كما شئت من هذا الدليل الأعرج ، ناهيك بفتاواهم الفاسدة بإجازة الموسيقى وسماعها ، وإجازة مصافحة النساء ، وسماع الأغاني الخليعة ، حتى قال أحدهم في بعض حواره مع الصحفيين : « إن سماع هؤلاء المطربات لا غبار عليه وأنه هو مثلاً يفضل الاستماع للفنانه فلانة » . وإباحة السينما التي تثير الغرائز وتؤجج الشهوات . وإليك فتوى اللجنة بصدد السينما السؤال الثالث من الفتوى رقم (٣٥٠١) :

س ٣ : هل يجوز للمسلم أن يبني سينما ويدير أعمالها بيده ؟

ج ٣ : لا يجوز لمسلم أن يبني سينما ، ولا أن يدير أعمال سينما له أو لغيره ؛ لما فيها من اللهو المحرم ، ولأن السينماءات المعروف عنها في العالم اليوم أنها تعرض صورا خليعة ، ومناظر فتانة ، تثير الغرائز الجنسية ، وتدعو للمجون

وفساد الأخلاق ، وكثيرا ما تجمع بين نساء ورجال غير محارم لهن . وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الفتوى رقم (٤١٢٠) س : ما حكم ارتياد دور السينما ؟

ج : ارتياد السينما حرام ؛ لأن أغلب ما يعرض فيها من الملاهي المحرمة التي تثير الفتنة ، ولأنها مضيعة للوقت ، وشغل للفراغ بلا فائدة شرعية في حال أن المسلم في أشد الحاجة إلى شغله بما يعود عليه وعلى أسرته وأمته بالنفع العظيم ، ولأنها تصد عن ذكر الله وأداء الواجب ، ولما فيها من اختلاط الرجال بالنساء ... إلى غير ذلك من المفاسد . وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله باز

* * *

من عجائب الفتاوى [١]

من أقوالهم :

- إن الدراسة في المدارس والجامعات حرام لا لشيء وإنما لأنه يوجد فيها جرس ومدرس حليق .
- إن القول بأن الأرض تدور يتنافى مع العقيدة وأن قائل هذا القول كافر .
- إن صلاة المغرب تقصر في السفر .
- إن حلق شعر الرأس وإن كان عاماً لجميع الرأس حرام لأنه تغيير لخلق الله ما لم يكن في حج أو عمرة .
- إن رفع اليدين في الدعاء حرام .
- إن أصول الفقه بدعة وكذا التجويد وكذا علم التوحيد .
- إن الأذان الأول في الفجر بدعة وحرام .
- إن قول المؤذن في صلاة الفجر الصلاة خير من النوم بدعة وحرام .
- القول بالقصر للمريض ووقت المطر مثلهما مثل المسافر
- وعندما سئل - من تولى كبر القول بإباحة المولد - عن حكمه قال بالجواز ، فقال له السائل لماذا لم يفعله رسول الله ﷺ وصحابته ، قال : إنه لم يكن عندهم وقت لفعله وذلك بانشغالهم عنه بالجهاد والدعوة إلى الله ...

وشر البلية ما يضحك :

وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا

- البدعة في الدين تنقسم إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة .
- أن الربا من ضرورات العصر وأن أخذ المال الزائد على القرض ليس رباً لأنه مقابل خدمة .

---

(١) المتفيهقون لمحمد حسن هيتو (٤٨-٥٠) بتصرف يسير .

- تحديد النسل لغير عذر شرعي أو ضرورة تقتضيه .
- ومن النماذج ما سيأتي في خطورة الفتاوى الفضائية ومفاسدها وقضايا الطلاق والنوازل والخروج على الإمام وفتوى التكفير والتفجير والإرهاب وتقريب الأديان ونحوها فلينظر .

فهل كان هؤلاء صادقي التبليغ عن ربهم في هذه الفتاوى؟

أما نحن فنملأ بها أفواهنا : إن هذا هو الكذب وعبادة العادات الفاسدة والأعراف السيئة وعدم الخشية من الله سبحانه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر : ٦٧] (١) .

وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسئول غداً وموقوف بين يدي الله ، وليتأمل في قول سفيان : « اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهله » .

أخي المسلم الموحد : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص : ٢٦] . إني أربأ بنفسك أن تجعل دينك عرضة لكل من أراد أن ينقصه أو يفسده عليك أو ربما أخرجك من الدين من حيث تشعر أو لا تشعر .

اعلم أنك ستحاسب وحدك وتسأل وحدك وتوقف بين يدي الله وحدك ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص : ٦٥] . ودع قول العامة خل بينك وبين النار مطوع ، قلدها عالم واخرج منها سالم . أقول نعم ولكن متى؟ إذا كان عالماً تقياً ورعاً متبعاً للسنة مظهراً ومخبراً وإلا فلا .

احذر أن تنخدع بمثل هؤلاء المفتين المتساهلين بالدين أو فتاواهم الزائفة الجائرة ذات الشطط والغلط والخلط والخبط فإنها والله وبالله وتالله لا تنطلي إلا على الأغبياء والجهال وأنزهك أن تكون منهم أما الذين يخشون الله في استفتائهم

---

(١) الفتاوى في الإسلام لجمال الدين القاسمي (٣٢) .

ويتذكرون وقوفهم بين يدي الله ويعرفون من يأخذون أحكام دينهم منه من أهل العلم والتقى والورع فإنهم لا يتأثرون بمثل هذه الفتاوى ولا يطيرون خلف كل ناهق وناعق ممن جعلوا علمهم وفتاواهم سلماً لشهواتهم واغتروا بالمال أو الجاه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] .

* * *

الفتاوى الفضائية وأخطارها

انتشرت هذه الأيام الفتوى الفضائية ، والمقصود بالفتوى الفضائية: أي الفتوى التي تصدر من المنتصب للإفتاء في التلفاز أو الإذاعة أو الإنترنت ، فهي فتوى انتقلت عبر الفضاء حتى استقرت في أذن السامع أو المشاهد [١] .

وقد انساق خلفها كثير من المسلمين ، وتسابقت القنوات الفضائية لعرض هذه الفتاوى رغبة في جمع عدد أكبر من هؤلاء المشاهدين أو المستمعين ، وتناثر المفتون فيها وتعددت الفتاوى واشتغل الناس بالقيل والقال وكثرة السؤال ، ففلان أفتى بكذا في القناة الفلانية ويعارضه الآخر بفتوى غير التي أفتى لك بها ذلك المفتي ، ويأتي من وقعت له مسألة حادثة ويريد أن يسأل عنها فيجيبه جاره أو صاحبه بأنه سمع في القناة الفلانية من الشيخ الفلاني جواباً لسؤاله فينقلها له مغلوطة خطأ أو مفهومة خطأ ، أو يكذب فيها فيزيد وينقص ، وهكذا يستمر الخطأ ، ويتفرق على الناس أمر دينهم مما يحتاج معه إلى بيان حجية هذه الفتاوى الفضائية ، وما تنطوي عليه من محاذير يوجب الحذر منها ، وعدم الاعتماد عليها مع تأصيل حقيقة هذا الأمر ، للصالح من الطالح والغث من السمين نصحاً لعامة المسلمين وعلمائهم ، وبيان لما فيه تبرئة لذمة المفتي والمستفتي أمام الباري جلَّ وعلا ، يوم أن يقف الناس عراة غير مختونين ، ولا يخفى عليه من أمرهم شيء [٢] .

يقول أحد مشايخنا : ألقيت محاضرة في أحد المساجد فجاء إليّ أحدهم وقال : يا شيخ لماذا تشدد في مسألة الاختلاط .. . والشيخ الدكتور فلان في قناة يقول إن الاختلاط بين الرجال والنساء جائز في الولائم والحفلات إذا حسنت النية

---

(١) المحاذير الشرعية في الفتاوى الفضائية (٦) لخالد الرشود وهي مهمة جداً للرجوع إليها .

(٢) المحاذير الشرعية في الفتاوى الفضائية (٣-٤) .

وكان النظر بغير شهوة ؟! وألقيت في مكان آخر فجاء إلي أحدهم قال : يا شيخ ما حكم الربا فقلت : حرام بجميع صوره وأشكاله .. فقال : الشيخ فلان في قناة يقول إنه ضرورة من ضرورات العصر ولا بأس به ؛ وجاء إليّ ثالث مستفتياً عن حكم المعازف والموسيقى ثم قال : قد أفتى الشيخ فلان أنها حلال ، وآخر ممن لا يملك علماً ولا تقى ولا ورعاً يبيح الخلوة بالسائق والخادمة والأجنبي وإباحة العادة السرية والتعامل مع البنوك وأخذ الفوائد واللعب بالشطرنج والقمار وعدم الحجاب من أخ الزوج أو ابن العم ونحوهما والدشوش والنقاب المتبرج الفاتن والصور المحرمة والسفر بلا محرم والدخان والأفلام الهابطة والسفر إلى بلاد العهر وآخر ممن تقرب إلى الله تعالى بالشرك والتبرك والذبح والدعوة لغير الله ودعاء غير الله وبالبدع فقسمها بدعة حسنة وبدعة سيئة .من أهل التصوف والتمشعر والرفض وآخر يتعبد الله بحفلات الإسراء والمعراج والموالد ونصف شعبان ورجب وغيرها .

نعم للأسف الشديد أن الناس اليوم يأخذون الأحكام الشرعية من أمثال هؤلاء الرعاع الجهال ومن المجالس والدوريات والقنوات الفضائية الفضائحية فيقول أحدهم مثلاً : هل سمعت عن الأمر الفلاني لقد حللوه في التلفاز أو في المجلس الفلاني والجلسة الفلانية .

* * *

الفتاوى العاطفية

ولنحذر كل الحذر من الفتاوى العاطفية التي تنتشر وتشتهر ويأخذ بها الناس ليس لقوة القول بها بقدر ما هو موافقتها للعاطفة .

فتاوى الطلاق

ومن المسائل التي يكثر فيها الخطأ والزلل من المفتين: مسائل الطلاق .

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» قال عبد الله بن الإمام أحمد : قال أبي : «كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ، ويقول : من يحسن ذا من يحسن ذا؟» .

وقال في رواية أبي الحارث : «وددت أن لا يسألني أحد عن مسألة ، وما شيء أشد علي من أن أسأل عن هذه المسائل ، البلاء يخرجه الرجل عن عنقه ويقلدك ، وخاصة مسائل الطلاق والفروج» .

ونقل محمد بن أبي طاهر عنه: أنه سئل عن مسألة في الطلاق؟

فقال: «سل غيري ، ليس لي أن أفتي في الطلاق بشيء» انتهى .

قلت: ليتأمل المتسرعون إلى الإفتاء في مسائل الطلاق ما ذكره الإمام أحمد عن سفيان ، وما قاله عن نفسه ، وليقتدوا بهذين الإمامين في الورع والتوقف عن الفتيا بما ليس واضحاً من مسائل الطلاق ، ولا سيما ما يقع من كثير من الجهال من الطلاق في حال الغضب على امرأته ، أو في حال التأكيد عليها بالمنع من بعض الأمور أو الإلزام بها ، فيسارع حينئذ إلى مواجهتها بالطلاق ، ثم يندم على الطلاق ، فيأتي إلى بعض المتسرعين إلى الفتوى ، ويزعم له أنه لم يرد الطلاق ، وإنما أراد التشديد على امرأته أو التأكيد عليها بما واجهها به ، فينخدع له المتسرع إلى الفتوى ، ويفتيه بعدم وقوع الطلاق ، وما أكثر القصص والوقائع في هذه الأمور في زماننا ! وللحيل مجال واسع فيها .

فلينتبه المتسرعون على الفتيا لئلا يقعوا في الزلل ويتحملوا إثم الفتيا بغير ثبت

وقد روى: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارقطني والحاكم والبيهقي؛ عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة» وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٤).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وصححه الحاكم والذهبي.

قال الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم».

وروى مالك في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: «ثلاث ليس فيهن لعب: النكاح والطلاق والعتق».

ورواه البيهقي من طريق مالك.

قال الخطابي في «معالم السنن»: «اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل؛ فإنه مؤاخذ به، ولا ينفعه أن يقول كنت لاعباً، أو هازلاً، أو لم أنو به طلاقاً، وما أشبه ذلك من الأمور.

واحتج بعض العلماء في ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: لو أطلق للناس ذلك؛ لتعطلت الأحكام، ولم يشأ مطلق أو ناكح أو معتق أن يقول: كنت في قولي هازلاً، فيكون في ذلك إبطال أحكام الله سبحانه وتعالى، وذلك غير جائز؛ فكل من تكلم بشيء مما جاء ذكره في هذا الحديث لزمه حكمه، ولم يقبل منه أن يدعي خلاف ذلك تأكيداً لأمر الفروج، واحتياطاً له، والله أعلم». انتهى كلام الخطابي رحمه الله تعالى، وهو في غاية الحسن فليتأمله المتسرعون إلى الفتيا في الطلاق، وليعملوا بما جاء فيه من التأكيد لأمر الفروج والاحتياط له [1].

(١) تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام للشيخ حمود التويجري (٨٧-٨٩).

قضايا النوازل ومن يملك حق الفتوى فيها؟ [١]

سؤال كبير وملح . فمن يملك إفتاء الناس؟ ليس في مسائل العبادات ، التي يعلم عمومها الكثير ، ولكن في النوازل التي يتدافعها العلماء الكبار ، الذين انقطعت آمالهم في الدنيا . فمن ذا الذي يجعل في رقبته حِمل الفتوى التي يترتب عليها سفك دماء ، أو تكفير مسلم ، أو خروج على إمام ، أو حل قتال لمسلمين؟ فيا لها من جرأة على الفتوى .

لقد صنف ابن القيم رحمه الله كتاباً أسماه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) فجعل المفتي كأنه يوقع عن الله ﷻ .

إن من يملك حق الفتوى في هذه النوازل ليس طلاب العلم الصغار ، أو الذين ثنوا ركبهم للتو في مجالس العلم ، وإن صدَّرهم الناس ، « يقول الشافعي - رحمه الله - : (إذا تصدّر الحدث فاته علم كثير) .

ولبعضهم :-

إن الأمور إذا الأحداث دبرها
دون الشيوخ ترى في سيرها الخللا » [٢]

« قال ابن دقيق العيد - رحمه الله :

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتم حتى يكون لكم عند » . [٣]

إنما يملك حق الفتوى ليس الأحداث بل العلماء الأجلاء الذين يربون طلابهم على أن الفتوى في النوازل لها أهلها المعنيون بها .

---

(١) مراجعة فكرية لعبد الإله بن عبد الله الدريويش (٩٣-٩٤) .
وانظر [فقه النوازل دراسة تأصيليه تطبيقية] يحتوي هذا الكتاب على كافة القرارات الصادرة من المجامع الفقهية في النوازل المعاصرة . تأليف د/ محمد حسين الجيزاني يقع في أربع مجلدات .
(٢) المجموعة العلمية لبكر أبو زيد (٢٧) .
(٣) المجموعة العلمية لبكر أبو زيد (٨٩) .

إن مسائل الأمة الكبار ينبغي أن تصدر من خلال المجامع الفقهية ، والهيئات العلمية . وإن كنت أعتب على تلك المجامع والهيئات التأخر في إصدار الفتاوى عن الوقت المناسب .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (من أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم فقد ضل وأضل .

وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم ، وعوائدهم ، وأزمنتهم ، وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم ، بل هذا الطبيب الجاهل ، وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس ، وأبدانهم ، والله المستعان) .

إن الفتوى التي نريد هي تلك الفتوى التي تجمع الاستدلالات ، والآيات والأحاديث ، بشفافية واضحة ، تسعى لإقناع الذين لا يكفيهم رأي العالم بل يريدون الدليل الشرعي . مع يقيني أن كثيراً من مسائل الخلاف لا يمكن الاتفاق فيها على رأي واحد ، ولكل عمله ، وهذا لا خلاف فيه عندي ، ولكن الحدود التي لا ينبغي تجاوزها هي تلك التي تسبب ضرراً للناس ، أو للأمة ، أو تُبيح الدماء والأموال . وليراقب كل منا ما يصدر منه فهو محاسب أمام الله أولاً .

أقول : وإذا كان الصحابة يتحرجون من الفتوى وهم أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ فأحرى بنا تلقاء كثير من مشاكل عصرنا ولا سيما الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من قضايا النوازل ونحوه أن نحذر فيما نحذر أمرين التسرع في الفتوى قبل التفهم الدقيق العميق الشامل لأن من البلوى الفتوى دون تدبر صحيح . والانكماش لأنه جبن وفرار من الحياة .

وأحرى بولاة الأمور أن يقيموا لهذه المشكلات المناظرات ويعقدوا المؤتمرات ويكلفوا اللجان الأخصائية ويألفوا المجامع العلمية فإن أمور الدين أحق بذلك كله من سواها من الأمور الأخرى .

الإفتاء الجماعي [(١)] :

تقع اليوم مسائل مشكلة ، تتجدد بتطور الحضارة ، وتعدد أنماط الحياة وتختلف فيها أنظار المجتهدين . ويكون ترك الناس من وضوح الحكم فيها مشكلة عامة . ومن أمثلتها مواقيت الصلاة والصوم في المناطق القطبية ورحلات الفضاء ، وعقود التأمين ، والأواني المفضضة والمذهبة ، مما لا بد للناس فيه من قول شرعي يسيرون عليه .

والأولى أن يكون للمسلمين لمثل هذا النوع هيئة عامة للإفتاء ، تتخذ قرارتها بالأكثرية ، استناداً إلى قول الله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] .

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : (ويلزم ولي الأمر منعهم ، كما فعل بنو أمية وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق ، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة ، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب ، وهو يطب الناس ، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم ، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى ، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ، ولم يتفقه في الدين ؟) . وعقب عليه – ابن القيم– بقوله:–

« وكان شيخنا– رضي الله عنه– شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : أجعلت محتسباً على الفتوى ؟ فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسبٌ ، ولا يكون على الفتوى محتسب ؟ » [(٢)] .

وقال الشيخ أبو بكر الحافظ ، رحمه الله : « قلت : ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين ، فمن كان يصلح للفتوى أقرّه عليها ومن لم يكن من أهلها منعه منها ، وتقدم إليه بأن لا يتعرض لها ، وأوعده العقوبة إن لم ينته عنها » [(٣)] .

---

(١) الفتيا ومناهج الإفتاء . لمحمد سليمان الأشقر (١٠٦)

(٢) تعظيم الفتيا لابن الجوزي (١٢٩) .

(٣) الفقيه والمتفقه (١٥٤/٤) ومن أراد الاستزاده فعليه بكتاب (تغليظ الملام على المتسرّعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام) لشيخنا الشيخ حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله .

فيجب على ولي الأمر النظر في مصالح العباد وتقديم العلماء الأعلام في الفتاوى والأحكام ويمنع من تطاول إلى المناصب العلمية بأمور الدين من الجهلة بالأحكام الشرعية . نعم ومن كان معدوداً - نعوذ بالله - من الجاهلين ، فلا يحل له إفتاء المسلمين ؛ بل يقال له: «ليس بِعُشِّك فادرُج إلى حُشِّك» فإنه إذا أفتى بالجهل فقد ضل وأضل ، فيجب على ولاة الأمور منعه ، وزجره عن الإفتاء وردعه ، وتفويض هذه الوظيفة السنية ، العلمية الدينية إلى من كان متصفاً بالأهلية [1] .

* * *

(١) صلاح العالم بإفتاء العالِم (٣٣) .

قضايا الخروج على الإمام
وفتاوى التكفير والتفجير والإرهاب

قبل فوات الأوان بعد سنوات من الدماء والفتاوى المكفرة تخرج جماعة مثل الجماعات التي خرجت في بعض الدول العربية لتعلن توبتها ، ورفضها لمنهجها السابق وتصحيحها له فمتى يستفيد الآخرون ؟

من عجائب ما يتعلق بمن شذ عن طريق الحق ، ممن تبنى القتل ، والترويع في بلاد الحرمين أنهم لم يستفيدوا من التجارب الدموية الفاشلة ، التي حدثت في البلدان العربية . في السنين الماضية لتلك الدول ، مثلت صراعاً دموياً إرهابياً ، وصداماً قوياً مع السلطة ، ذهب ضحيتها آلاف الناس الأبرياء وما الذي استطاع كلٌّ الحصول عليه سواء من فرق القتل والرعب لتلك البلاد أو غيرها .

فبعد سنوات من القتال المسلح الذي كاد أن يقيم فتنة طائفية في تلك البلاد بين المسلمين وغيرهم ، وبعد سلسلة من الاغتيالات التي ذهب ضحيتها جمع من مختلف الديانات والجنسيات ، وبعد أن أعرض أولئك عن آراء العلماء الناصحين ، ضاربين بالفهم الصحيح للشريعة عرض الحائط ، وبعد أن حصد قيادات تلك الحركات الدماء والأرواح ، خرجوا ليعلنوا خطأ المنهج ، وبراءتهم من تلك الأعمال السابقة ، ووقف عمليات القتل والاغتيال والتفجيرات ، بتحول كامل من شمال إلى جنوب . ولست ضد هذا التحول ، بل هو التصحيح المطلوب ، وهو شيء أكبره فيهم ، ولكنها رسالة إلى الذين يمثلون نفس الفصل في السعودية الآن ، أن ينظروا إلى مثل هذه التجربة ، وأنها طريق مرسوم يسيرون عليه يوصلهم للندم ، والهوان والضلال ، والرفض من الناس ، فلماذا تكون البداية من الصفر؟ ولماذا تُرفض التجارب السابقة ؟ ولماذا عودتهم للحق بعد ما تبين لهم ؟ فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

إذا كان تراجع عدد من الذين أفتوا بفتاوى تلقفها أولئك المخطئون عودة في طريق الحق ، ومع ذلك أوله البعض وخرّج له ، فممن سيأخذون ، ومن سيقبلون مراجعاته .

والله إنا نحرص على أمننا ووطننا وأهلنا ومع ذلك نحرص أن يعود كل ضال إلى طريق الحق قبل أن تناله يد العدالة المؤيدة بالنصر ولات حين مناص . (١)

* * *

(١) مراجعات فكرية لعبد الإله بن عبد الله الدريويش (٧٨-٧٩) بتصرف يسير .

الحذر الحذر من أهل الزيغ والفساد !!

ومن أعظم الزلات خطراً على الإسلام وأشدها أثراً في نقض عراه محاولة بعض أهل الزيغ والفساد في زماننا أن يقاربوا بين المسلمين وبين أهل الأديان الباطلة من سائر أهل الملل المخالفة لدين الإسلام ، ومحاولتهم أيضاً أن يقاربوا بين أهل السنة والمخالفين لهم من أهل البدع والزيغ المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم .

وقد نشروا دعوتهم إلى هذه المذاهب الهدامة في كتب لهم ومقالات كثيرة .

وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام : ١١٢-١١٣] . وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ٣٠] . وقوله تعالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر : ٨] .

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من هؤلاء الزائغين أشد الحذر ، فإنهم ألد الأعداء للسنة وأهلها ، وهم أضر على السنة وأهلها من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل . والله المسؤول أن يكفي المسلمين شرهم ، ويطهر الأرض منهم ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه (١) .

* * *

(١) تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام للشيخ حمود التويجري (١١٦) .

جرم القول على الله بلا علم (١)

وقبل ذلك نقول : إن التعالم ، والشذوذ ، والترخص ، والتعصب كلها منافذ تؤدي إلى الجزم بالقول على الله تعالى بلا علم .

واسمع ما أقول لك :

كم رأينا قسمات الاستنكار إذا لفظ الواعظ بأن الربا أشد إثماً وأعظم جرماً من الزنى ونحوه من الكبائر ، لكنه معنى تتهلل له سبُحات العارفين عن الله ورسوله ؛ إذ الربا ذنب توعد الله عليه بالمحاربة - في التنزيل دون سواه من الآثام ، ولأنه يفعل الأفاعيل في تقويض حياة الأمة وضرب تجارتها ومضارباتها بالكساد - بما لا تدانيه معصية سواه . وهل المعاصي إلا وسائل هدم ، لكنها دركات .

ولنقل هنا إن أصل الشرك والكفران ، وأساس البدع والعصيان ، وما هو أغلظ منها ومن جميع الفواحش والآثام ، والبغي والعدوان :

« القول على الله تعالى بلا علم » . والدليل قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فهذه المحرمات الأربع تحريمها لذاتها تحريماً أبدياً في جميع الشرائع والملل ، ومراتب الشدة فيها في الآية الكريمة على سبيل التعلي فقال سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف : ٣٣] هذا أولها .

ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم فقال سبحانه :

﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم فقال سبحانه .

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الأعراف : ٣٣] .

---

(١) المجموعة العلمية لبكر أبو زيد (١٣١-١٣٢) .

ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم فقال سبحانه :

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٦٩] .

إذ القول على الله تعالى بلا علم هو أصل الشرك والكفر والبدع المضلة والفتن الجائرة .

وليتدبروا قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٨-٥٩] . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل : ١١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٩] قال الزمخشري : « كفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً على التجوز فيما يسأل من الأحكام ، وباعثة على وجوب الاحتياط فيها ، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إتقان وإيقانٍ ، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفترٍ على الله تعالى » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تقول علي ما لم أقل ، فليتبوا مقعده من النار ، ومن استشاره أخوه المسلم ، فأشار عليه بغير رشد فقد خانه ، ومن أفتى بفتيا بغير ثبت ، فإنما إثمه على من أفتاه » (١) .

وتقدم حديث « قتلوه قتلهم الله » .

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » (٢) . (٣)

ويقول الشافعي رحمه الله : « المستفتي عليل والمفتي طبيب فإن لم يكن ماهراً بطبه وإلا قتله » .

---

(١) أبو داود (٣٦٥٧) وحسنه الألباني .

(٢) أبو داود (٤٥٨٦) وابن ماجه (٣٤٦٦) صحيح سنن أبي داود (٨٨٦/٣) وحسنه الألباني .

(٣) نصف العلم . . لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٦١) .

فكيف بمن يضل الناس عن دينهم بسبب قوله على الله بلا علم .

وإني لأعجب :

من جاهل متطبب يفتي الورى ويحيل ذاك على قضا الرحمن

ربما أن بعض العامة إذا رأى شخصاً يريد أن يستفتي عالماً ، يقول له : ما الحاجة في أن تستفتي في هذا الأمر هذا الأمر واضح ، هذا حرام ، مع أنه في الواقع حلال فيحرم ما أحل الله له أو يقول هذا واجب ، فيلزمه به ، أو يقول هذا غير واجب ، فيسقط عنه ما أوجب الله عليه ، أو يقول هذا حلال ، وهو في الواقع حرام ، فيوقعه فيما حرم الله عليه ، وهذا جناية منه على شريعة الله ، وخيانة لأخيه المسلم ، حيث غرَّه بدون علم . لو أن شخصاً سأل عن طريق بلد من البلدان فقلت له : الطريق من هنا ، وأنت لا تعلم ولعد الناس ذلك خيانة منك وتغريراً فكيف تتكلم عن طريق الجنة وهو الشريعة التي أنزل الله ، وأنت لا تعلم عنها شيئاً .

كيف لا يكون غاشاً خائناً غادراً والله لا يهدي كيد الخائنين وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للإسلام وأهله ، والدين النصيحة . والفتوى أمانة ومسؤولية والمستشار مؤتمن يتحمل تبعة وإثم وعاقبة فتواه .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله - في كتابه إعلام الموقعين : (من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص) .

وجاء عن أبي سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي ، الملقب بسحنون إمام المالكية ، وصاحب « المدونة » التي هي عند المالكية ككتاب « الأم » عند الشافعية أنه قال : « أشقى الناس من باع آخرته بدنياه ، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره .

قال : ففكرت فيمن باع آخرته بدنيا غيره . فوجدته المُفتي يأتيه الرجل قد حنث في امرأته ورقيقه فيقول له : لا شيء عليك ، فيذهب الحانث فيتمتع بامرأته ورقيقه ، وقد باع المفتي دينه بدنيا هذا » [1] .

وقال غيره : ما وجدت من باع آخرته بدنيا غيره إلا المفتي .

---

(١) تعظيم الفتيا لابن الجوزي (٢٤) .

ولخطورة الفتوى كان السلف يهابونها ويتوقونها ويتدافعونها وتقدم ذلك .

وإني لأعجب وما لي لا أعجب والعجب لا ينقضي ممن يجانب السنة والكتاب ويحتكم إلى الأهواء والعادات والآراء الفاسدة والأقوال الكاسدة ولو تيقن أنها خلاف الحق والصواب فنذكر هذا وأمثاله بقول المولى ﷻ : ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ١٩٢-١٩٣] .

وإن نقل الفتاوى والخلاف عن العلماء بهذه الصورة مما يثير النزاع والشجار فيما بينهم ، وإن نقل الفتاوى والخلاف عن العلماء بهذه الصورة مما يثير البلبلة والزعزعة بين الناس وخاصة طلبة العلم ، فالناقل قد يخطئ بنقله الفتوى المجردة عن الدليل فاجتمعت ظلمتان : ظلمة نقل الفتوى بغير دليل ، وظلمة خطأ النقل .

وإن من التعالم أيضاً معارضة فتوى عالم قضى جل عمره في العلم ... برأي واعظ أو مثقف أو مفكر لا دليل عنده .. . ولكن صار كل يدلي بدلوه ويتكلم في دين الله ﷻ والله المستعان (١) .

وأقول لمن يفتي بغير علم أو يستفتي من هب ودب : إن الفتوى بغير علم والتطاول إليها والتجرؤ إلى مقامها والتهاون بشأنها والتسابق إليها واستفتاء من قل علمه وتقواه ذلك والله هو الخسران المبين والتقول على رب العالمين والتشريع في دين الله بما لم يأذن به والافتراء على الله يخشى عليهم من عذاب الله وعقابه إن لم يتوبوا وينقضوا فتاويهم ويرجعوا عنها وإن لم يفعلوا فيا ويلهم من الله حين القدوم على الله والوقوف بين يدي الله الذي لا تخفى عليه خافية يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل : ٢٥] . وأجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً وأجرؤهم عليها أجرؤهم على النار أما سمع هؤلاء المساكين المتقولين

(١) عقد الفصوص في تحريم ذكر الخلاف إذا ثبتت النصوص لفوزي بن عبد الله الأثري . (٩٠) .

على الله قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣] وقوله عز وجل : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى : ٢١] وقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٩] وقول الله : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ﴾ [النحل : ١١٦] وقوله عز وجل : ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٥] وقوله : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ٣٠].

بناء على ما تقدم يجدر بنا أن نقول : القول على الله بغير علم لا يحل فعله ، ولا يَسَعُ إتيانه ، ولا يرخص فيه ، ولا يباح شيء منه ، ولا يسوغ الخوض فيه ، ولا يرضى الشروع في فعله ، وقد حرمه الله ، وحظره رسول الله ﷺ ،و نهى عنه الكتاب ، وحمته السنة ، وكرهته الجماعة ، ومنعت منه النِّحلَة ، وحجزته الشريعة ، وحجرت دونه الملة ، ونزل بتحريمه القرآن ، ونطق بإبطاله الفرقان ، وصدع بتحريمه آيات الكتاب ، ومحكم التنزيل ولا رخصة فيه ، ولا تأول ، ولا تمحُّل ، ولا تأويل ، ولا شبهة (١) .

فإذا عرفنا خطورة الفتوى فينبغي أن نترك الفتوى لأهلها ، وكل ميسر لما خلق له . وهذا لا يغض من شأن الذين لا يتعرضون للفتوى وليسوا مؤهلين لها ، فكل إنسان يعطيه الله ميزة يتفوق بها على الآخرين في أي فن . لكن ليس معنى هذا أن يتجرأ على دين الله ويقول فيه بغير علم ، وقد تقدم لنا نماذج من أقوام كثيرين ممن أهلوا للفتوى هابوها من أجل ذلك ، ومن أجل الخوف أن يصدروا عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ بغير علم .

---

(١) دليل الخطباء والكتاب والوعاظ إلى تناسب المعاني والألفاظ . اختصار أبو نوران حامد بن عبد الحميد (٦٠) بتصرف للمناسبة .

إن من العقل ، وإن من الإيمان ، وإن من تقوى الله وتعظيمه ، أن يقول الرجل عما لا يعلم : لا أعلم ، لا أدري ، اسأل غيري ، فإن ذلك من تمام العقل ؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به ، ولأنه يعرف قدر نفسه حينئذ وينزلها منزلتها ، وإن ذلك من تمام الإيمان وتقوى الله ، حيث لا يتقدم بين يدي ربه ولا يقول عليه ما لا يعلم .

يا طالب العلم تثبت ، فالفتوى خطيرة جداً ومحرجة وهي توقيع عن رب العالمين فاحذر أن تقول على الله بغير العلم وحذار حذار من التسرع فيها والتهالك عليها وعليك بكلمة لا أدري فهي عند أهل التقوى والورع كالماء البارد [١] .

* * *

(١) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان سليمان الغربي (١٢) .

واجب طلبة العلم [(١)]

في هذا العصر الذي قل فيه العلماء في كثير من بقاع المسلمين يتعين لمن هو أهل للفتيا أن لا يتحرج منها وإلا سيتولاها من هو شر منه وأحمق شريطة أن لا يفتي بما لا يعلم وإلا فهو غير مكلف أن يجيب على كل ما سئل عنه إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولكن ينبغي لمن توجهت عليه الفتيا في بلده ولا يوجد فيه غيره أن يتفقه في دين الله وأن يعلم نفسه فقد أصبحت الفتيا في حقه فرض عين . فتورع الأخيار عن الفتيا وعن تدريس الناس وتعليمهم هو الذي فتح المجال لأدعياء العلم الجرأة فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فعلى المرء أن يحسن نيته وأن يجتهد في تحصيل العلم وليس عليه بعد ذلك أن يخطئ بغير قصد أو تعمد أو تقصير إذا بذل وسعه في طلب الحكم بدليله فالكمال لله وحده .

وثمة شي آخر في غاية الأهمية وهو أن الشخص إذا أفتى بشيء تبين له أن الحق خلاف ما قال فعليه أن يرجع إلى الحق وأن يصوب الخطأ وأن يذهب لمن استفتاه ويعلمه بذلك ولا يستحي من هذا أبداً [(٢)] .

ثم اعلم أخي – وقاك الله كتمان العلم والفتوى بلا علم – أن هذه الآفة موجودة عند بعض طلبة العلم بعلمهم للدنيا فنالوا الشهادات من ماجستير ودكتوراه ولم يعلّموا وإنما كتموا فهؤلاء إثمهم عظيم وعاقبتهم وخيمة في الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا ، فينبغي على طالب العلم أن يطرح العلم على الناس طرحاً أينما كان بمختلف الأساليب مراعياً ما يحتاجه الناس في أزمانهم وأماكنهم ومستوياتهم المختلفة ويجيب على الأسئلة إذا سئل وهو يعرف إجابتها حتى لا يقع في الكتمان ، وعليه أن يحذر من الفتوى بلا علم فهذه من الذنوب العظام التي

---

(١) وأوصي بكتاب العلم للشيخ محمد بن صالح العثيمين .

(٢) الاختلاف رحمة أم نقمة؟ للأمين الحاج محمد أحمد (١١٥-١١٦) .

وقع فيها بعض طلبة العلم بمجرد تعلمهم شيئاً من العلم صاروا يصدرون الفتوى هذا حلال وهذا حرام والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل : ١١٦] .

فليس من العيب إذا سئلت وأنت لا تعرف الإجابة أن تقول الله أعلم [١] .

فاحذر يا أخي من هذا المزلق الخطير [٢] .

وقد قال الصَّيمري والخطيب البغدادي - بعد استقراء وتتبع لأحوال المفتين - : « لا تجد من حرِص على الفتيا وسابق إليها وثابر عليها ، إلا قل توفيقه واضطرب في أموره ، وإن كان كارهاً لذلك غير مؤثر له ما وجد عنه مندوحة ، وأحال الأمر إلى غيره كانت المعونة له من الله أكثر ، والصلاح في جوابه أغلب » . واستدل بقوله ﷺ في الحديث الصحيح : « لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها » [*] . فمن صدق الله وتحرى الحق وتثبت وتيقن الصواب فيما هو من شرع الله فلا يكتم إذا سئل عنه أو دعت الحال لبيانه حتى لا يقع تحت طائلة إثم كتمان العلم الذي جاء في قول الله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران : ١٨٧] وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقـــرة : ١٧٤] .

ذاكر الناس بالعلــــوم لتحيا ... ولا تكن من أولي النهى ببعيد
إن كتمت العلوم أُنسيت حتى ... لا ترى غير جاهل وبليـــــد
ثم ألجمت في القيامة نــاراً ... وتلهبت في العذاب الشديــــد [٣]

ونختم هذا الفصل بما قاله سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه

(١) العلم فضله وأسباب تحصيله وآداب طلابه (٤٢-٤٣) .
(٢) العلم فضله وأسباب تحصيله وآداب طلابه (٤٣) .
(٣) ثلاث رسائل للشيخ محمد المانع (٤٢) .
(*) البخاري (٦٧٢٢) .

الله - حيث قال : « يجب على المسلم أن يحتاط لدينه ، وأن لا يأخذ الفتوى ممن هب ودب ، لا مكتوبة ولا مذاعة ، ولا من أي طريق لا يتثبت منه ، سواء كان القائل علمانياً أو غير علماني ، ولا بد من التثبت من الفتوى لأنه ليس كل من أفتى يكون أهلاً للفتوى ، فلا بد من التثبت والمقصود أن المؤمن يحتاط لدينه فلا يعجل في الأمور ، ولا يأخذ الفتوى من غير أهلها ، بل يتثبت حتى يقف على الصواب ، ويسأل أهل العلم المعروفين بالاستقامة وفضل العلم حتى يحتاط لدينه ، قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] . وأهل الذكر هم أهل العلم بالكتاب والسنة . فلا يسأل من يتهم في دينه ، أو لا يعرف علمه ، أو يعرف بأنه منحرف عن جادة أهل السنة » [١] ، أو ممن يتساهل في دين الله ، كمن يجيز الأغاني أو كشف المرأة وجهها أو كفيها للأجنبي ، أو القول بكراهة الدخان وحلق اللحية والتصوير والموسيقى أو بإباحة الموالد [٢] مع أن ذلك محرم شرعا .

فيا إخواني في الله . . ويا شباب المسلمين ويا من أكرمهم بهذا المقام الرفيع خذوه بحقه تعلو عليين وتنزلوا منازل النبيين : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة : ١١] ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] . ولكم في سلفكم صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يتدافعون الفتيا ما لم ير أحدهم تعيينها عليه فعند ذلك يبذل جهده في معرفة الحق فيها ، لكم في هؤلاء وأتباعهم بإحسان خير أسوة ولا يضير أحدنا إذا سئل عما

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (التوحيد وما يلحق به) تأليف سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز جمع وإشراف محمد سعد الشويعر (٦/ ٥٠) .

(٢) وعندما سئل - من تولى كبر القول بإباحة المولد - عن حكمه قال بالجواز ، فقال له السائل : لماذا لم يفعله رسول الله ﷺ وصحابته؟ ، قال : إنه لم يكن عندهم وقت لفعله وذلك بانشغالهم عنه بالجهاد والدعوة إلى الله ...

وشر البلية ما يضحك :

وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا

لا يعلم أو عما لم يستقر له فيه رأي بدليله أن يقول الله أعلم أو أن يرجع نفسه أو السائل إلى من هو أعلم منه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] .

لا يمنعك الكبر عن سؤال أهل العلم فيما خفي حكمه واحذر الشيطان فإنه يدخل معك في هذه المسألة كأن يوسوس عليك ويقول لك مثلاً أنت طالب علم وعندك الكتب والمؤلفات والمصنفات فلا تحتاج إذا إلى سؤال الناس فتقع في الخطأ وتحيد عن الطريق [١] .

ولا يمنعك الحياء مما جهلت فاسأل ولا تستحي تقول عائشة رضي الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » ويقول علي رضي الله عنه : « لا يستحي الذي لا يعلم أن يسأل حتى يعلم ولا يستحي من يسأل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم » .

ويقول مجاهد : « لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر » فليس للحياء موضع إذا ضل الناس أو انتفش الباطل يقول ﷺ : « لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه » [٢] والساكت عن الحق شيطان أخرس خاصة أننا في زمن أصبح يفتي فيه كل من أمسك قلماً أو أجاد قراءة صحيفة والعامي لا يعذر بالجهل فيجب عليه أن يستفتي ويسأل .

لا تأخذ العلم والتوجيه والفتوى إلا ممن يشهد له بصحة العقيدة وبتقوى الله والورع ومن أنت على بينة من علمه وأمانته وصدقه ونزاهته . [٣]

لا يصلح الناس فوضى لا سرات لهم
ولا سرات إذا جهالهم سادوا

---

(١) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان فيحان الغربي (١٤) .

(٢) صحيح ابن ماجه (٤٠٠٧) والصحيحة (١٦٨) .

(٣) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان فيحان الغربي (٢٠-٢١) .

ومن الواجب على طلبة العلم
التفريق بين كتمان العلم وقول لا أدري

فكتمان العلم أن تفهم المسألة وتعرفها ، وتراها كما ترى الشمس وكأن يقول لك أحد العوام : كيف كان يتوضأ عليه الصلاة والسلام ؟ فيحملك الورع وتقول : الله أعلم لا أدري ، فهذا الورع مظلم ، لأن طلبة العلم يعرفون كيف وضوء النبي ﷺ .

وإذا سألك أحد الناس : كم أركان الإسلام ؟ فتقول : الله أعلم ، الفتيا صعبة كالسيف ، فهل هذه فتيا ، هذا كتمان العلم ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

وقد نهى النبي ﷺ عن كتمان العلم .

فلا يحل لمن كان عنده علم ، أن يكتمه إذا سُئله [١] .

ففي الحديث : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » . أبو داود (٣٦٥٨) صححع الألباني فى صحيح أبي داود ولا يكن في صدرك حرج من إظهار الحق والصدع به عند الحاجة ولا تكتمه فتأثم يقول سبحانه : ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ٢] ، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر : ٩٤] .

روى ابن عبد البر رحمه الله بسنده عن سليم بن عامر قال : « كان أبو أمامة يحدثنا فيكثر ثم يقول : عقلتم ؟ فنقول : نعم . فيقول : بلغوا عنا فقد بلغناكم » .

وعن ابن القاسم قال : « كنا إذا ودعنا مالكاً يقول لنا : اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه » . [٢]

ولكنه يقابله فريق آخر ويقول : لو قلت : لا أدري في المجلس انكسر جاهي وقال الناس لا يعرف فيتناقل عني في المجالس أني لا أعرف وتقل قيمتي عند الناس

(١) نصف العلم .. لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥٩) .

(٢) فضل العلم وأداب طلبه وطرق تحصيله وجمعه لأبي عبد الله بن رسلان (١٦٠) .

وما يعرف أن رفع قيمته بأن يقول لا أدري في هذا الموطن ، يقول علي رضي الله عنه : ما أبردها على قلبي إذا سئلت عما لا أدري فقلت : لا أدري ولذلك قال الرسول ﷺ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [طه : ٥٢] يوم سألوه عن الساعة قال : علمها عند ربي ولذلك ورد عنه ﷺ في الحديث الحسن : (ما أدري أتبع لعين هو أم لا ؟ وما أدرى أعزيز بنى هو أم لا ؟) أبي داود (٤٦٧٤) وصححه الألباني وانظر الصحيحة (٢٢١٧) .

حتى قال بعض الحفاظ :حفظ عنه ﷺ حديث : « ثلاثة أو أربعة في علم الله عز وجل » .

فلا أدري ترفعك إذا كنت لا تدري وهي نصف العلم ونصف الجهل .

وبعض الناس ونعوذ بالله أن تكون منهم إذا سئل في مسألة والناس مزدحمون خاف أن يقول لا أدري فيتهور ويقحم نفسه حتى لو كانت من المسائل العويصة .

وبعضهم يقول فيها أقوال لبعض أهل العلم لأنه يجيب بمجموعة أجوبة فيقول نسأل الله من فضله أن يصيب بعض الأجوبة ، يعني تخميناً ، والله ذم الظن في القرآن وقال : ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية : ٣٢] وقال : ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس : ٣٦] . وقال حذيفة : « ابدؤا بالعلم فإنه اليقين قبل أن يأتي الظانون » .

إذا علم هذا فإن الفتيا صعبة .

وكما أن المفتي يخبر عن الله فهو أيضاً يعرض الناس للوقوع في الخطر والضلال إذا لم يتحرز ويتحفظ ويتأهل لأنه قد يحل دماً حراماً ، وفرجاً حراماً ، ومالاً حراماً ، وطعاماً حراماً ، إلى غير ذلك من المحاذير العظيمة . [١] .

جُنة العالم لا أدري ويهتك حجابها الاستنكاف منها قوله يقال أو سمعت أو ما شابههما وإن كان نصف العلم لا أدري فنصف الجهل يقال أو أظن فانتبه لهذا وفقك الله [٢] .

وقال أبو داود : « قول الرجل فيما لا يعلم : لا أعلم ، نصف العلم » .

---

(١) الاجتهاد للشيخ صالح الفوزان (٢٥) .

(٢) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان فيحان الغربي (١٧) .

وليحذر طلبة العلم
من تأويل الخطأ وعدم التسليم والرجوع عنه بعد تبين الصواب

ليس أحد من المفتين معصوماً من الخطأ حتى النبي ﷺ كان يقع منه الخطأ في الاجتهاد كما في قصة أخذ الفدية من أسارى بدر ، والإذن للمنافقين في التخلف عن الجهاد ، وبدليل قوله ﷺ : « من قضيت له بشي من حق أخيه بشيء فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي لها يوم القيامة » البخاري ٢٦٨٠ ، ومسلم ١٧١٣ . ولكن لا يقره الله على الخطأ في الأحكام العامة بل يصحح له [١] .

وبعض الناس عندما يتبين له خطأه في مسألة ما ويتضح له الصواب على خلاف كلامه اتضاحاً كالشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب .

فإنه في هذه الحالة يجد صعوبة بالغة ومرارة عظيمة في الرجوع عن كلامه وسلوك طريق الصواب الواضح ويظن أن التنازل عن قوله وصمة عار تبقى في جبينه أبد الدهر - زعم - .

فما يكون منه إلا أن يلبس الباحث عن الحق الذي لم تتضح له الصورة الواضحة بل ويبدأ في جمع الأدلة بخيله ورجله على اختلاف تنوعها وبعدها عن محور القضية كل ذلك من أجـــل إقناع الآخرين بأن الدافع له للإصرار والبقاء على رأيه هو كثرة الأدلة - مع علمه بأنها لا تشفع لقوله بالظهور فضلاً عن أنه الحق .

بل ويزداد تسويل الشيطان له حتى يبدأ بالحديث عن حبه للحق وظهوره وأنه يتمنى أن يتبين له الحق ولو كان في غير رأيه ويبدأ في تزكية نفسه وإطرائها وأنه مستعد لزوم الحق عند تبينه .. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف : ٥] ومن كان هذا شأنه فليعلم أنه ممن يسعى إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل وإن صلى وصام وزعم أن قصده الحق .

(١) الفتيا ومناهج الإفتاء . لمحمد سليمان الأشقر (٨٧) .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن جماعة - رحمه الله - عند قوله تعالى : ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٨] .

قال- رحمه الله : « إن إرادة إبطال الحق وتحقيق الباطل صفة إجرام فليحذر منه » .

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى- أن قضية « الاعتذار بعدم الفهم » من وسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية وناسب ذكر كلام الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - في هذا الموضع لأن من تأول خطأه بعد ما علم ببطلانه وسقوطه وتذرع بعدم الفهم للصواب فإنه في هذه الحالة متشبه ببعض صفات أهل الجاهلية .

وبعد هذا أسوق هنا شيئاً من أخبار السلف التي تدل على ورعهم وحرصهم وحبهم للخير أينما كان والتنازل التام بالقناعة التامة عن أي أمر يخالف الحق بل والتقرب إلى الله تعالى بتنازلهم ذلك .

فالنبي ﷺ ، وهو رأس المفتين ، لما سأله الناس عن التلقيح ، وهو تأبير النخل ، قال : « ما أظن يُغني ذلك شيئاً » ثم أخبروه بأنه يضره فقال : « إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل » [١] وأمرهم أن يرجعوا إلى التلقيح .

كذلك عمر رضي الله عنه ، أفتى بإسقاط الأخوة في مسألة المشركة ، ثم أفتى بالتشريك بناء على ما ترجح لديه في ذلك .

ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً استفتاه في مسألة فأفتاه فلما ولى الرجل تنبه أبو هريرة إلى أنه أخطأ فذهب ليتدارك الرجل فلم يستطع فنادى في السوق أن أبا هريرة أفتى في مسألة كذا بكذا وأنه أخطأ في ذلك .

فانظر أيدك الله كيف ألغى أبو هريرة تلك الحواجز الوهمية التي أغلقت الأبواب على بعض الناس وصدته عن الرجوع إلى الحق .

---

(١) مسلم في الفضائل (٢٣٦١) بنحوه .

ومثال آخر ما ورد بين مالك وأبي يوسف عليهما رحمة الله عندما تناظرا في مقدار الصاع ظهرت حجة مالك على حجة أبي يوسف قال أبو يوسف - رحمه الله تعالى :-

قد رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي - يعني أبا حنيفة - رحمه الله - ما رأيت لرجع كما رجعت فرحم الله أولئك الأفذاذ الذين كانوا من أسرع الناس إلى الرجوع إلى الحق عند تبينه [١] .

ومما ورد أن الحسن بن زياد اللؤلؤي أُستفتي في مسألة فأخطأ ، فلم يعرف الذي أفتاه فاكترى منادياً فنادى : أن الحسن بن زياد أُستفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ ، فمن كان أفتاه بشيء فليرجع إليه ، فمكث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى ، فأعلمه أنه قد أخطأ ، وأن الصواب كذا [وكذا] [٢] .

* * *

(١) مزالق تسعة يقع فيها الشباب المسلم (١٥-١٨) .

(٢) تعظيم الفتيا لابن الجوزي (٩١-٩٢) .

فتوى
رجوع المفتي إلى الصواب

السؤال: إذا سئل شخص عن مسألة فأفتى فيها، وبعد مدة تبين له أن ما أفتى به غير صحيح فماذا عليه أن يفعل؟

الجواب: عليه أن يرجع إلى الصواب، ويفتي بالحق، ويقول أخطأت، كما قال عمر: (الحق قديم) فعليه أن يرجع إلى الصواب، ويفتي بالحق: ويقول: أخطأت في المسألة الأولى: أفتيت بكذا وكذا، ثم اتضح لي أنها خطأ، والصواب كذا وكذا.

ولا بأس عليه في ذلك، بل هذا هو الواجب عليه. وذكر قصة التأبير وقضية عمر في مسألة المشركة وتقدم ذلك.

فالرجوع إلى ما يعتقد العالم أنه الصواب والحق، أمر معروف، وهو طريق أهل العلم والإيمان، ولا حرج في ذلك، ولا نقص، بل ذلك يدل على فضله، وقوة إيمانه حيث رجع إلى الصواب، وترك الخطأ.

ولو قال بعض الناس، أو بعض الجهلة: إن هذا عيب، فهذا ليس بشيء الصواب أنه فضل، وأنه منقبة وليس بنقص. (١)

مجلة البحوث الإسلامية (٤٧)، ابن باز، ص (١٧٢-١٧٣).

فيا أخي ارجع إلى الصواب وإلى الحق متى ما رأيت أنك مخطئ أو متى ما نبهك أحدٌ- لهذا مهما قل علمه وتحصيله - فالرجوع إلى الحق فضيلة ولا تأخذك العزة بالإثم أو يأخذك الكبر عن الرجوع إلى الحق (٢). والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل بل ذلك واجب.

---

(١) الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية فتاوى علماء البلد الحرام إعداد خالد الجريسي (٨٠٨-٨٠٩).

(٢) هذه نصيحتي يا طالب العلم إن أردت النجاة إعداد فيحان سليمان الغربي (١٥).

فائدة : وللاستزادة انظر رسالة بعنوان « الرجوع إلى الحق » لسعيد عبد القادر باشنفر .

* * *

مسائل مهمة

مسألة : تقليد الأئمة [١]

قد أجمعت الأمة على أن الرأي لا مجال له مع وجود نص في القرآن والسنة الصحيحة وأن الرأي الذي يعارض واحداً منهما رأي باطل يأثم به صاحبه ولا يصح العمل به .

خاصة في زمن يقل فيه العلماء الصالحون ويكثر فيه الجهال المنتحلون للعلم يقول النبي ﷺ : « من أشراط الساعة أن يظهر الجهل ويقل العلم » [٢] وقوله ﷺ : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم » [٣] .

أقول : من ترك الدليل لقول فلان وعلان كائناً من كان فقد خالف الأصل الذي أجمع عليه المسلمون من أنه لا يجوز مخالفة سنة سيد المرسلين إذا استبانت لقول كائن من كان ، فهذا مخالف لهدي السلف ومخالف لما عليه أئمة المذاهب ، فإنهم متفقون على ذم التقليد وذم التعصب ، فالواجب على المسلم أن ينصر الدليل ، وأن يأخذ به سواء كان مع المالكي أو الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو غيرهم .

إن جميع الأئمة الأربعة [٤] نهوا عن تقليدهم بشدة ولم يرضوا بذلك للناس وإليكم ما قاله بعضهم في هذا المجال :

أقوال أبي حنيفة رحمه الله :

١ - لا يحل لأحد أن يعمل أو يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه .

---

(١) وانظر للاستزادة (التقليد في باب العقائد وأحكامه) إعداد : د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع وآخر بعنوان (التقليد وأحكامه) للدكتور سعد بن ناصر الشثري .

(٢) البخاري ٥٥٧٧ ومسلم ٢٦٧١ بلفظ آخر .

(٣) البخاري (٧٠٦٨) بلفظ (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان ..) .

(٤) بين مُتبع ومقلد أعمى للدكتور عامر سعيد الزيباري (٥٥-٥٧) .

٢ - حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي .

٣ - نحن بشر نقول القول ونرجع عنه غداً .

٤ - إذا صح الحديث فهو مذهبي .

أقوال الإمام مالك رحمه الله :

١ - كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا محمد رسول الله ﷺ .

٢ - إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فكل قول لا يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

٣ - من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي يستتاب .

٤ - إذا صح الحديث فهو مذهبي .

أقوال الإمام الشافعي رحمه الله :

١ - أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة من رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان .

٢ - كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف ما قلت مما يصح فحديث النبي أولى ، فلا تقلدوني واضربوا قولي عرض الحائط .

٣ - إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا قولي في حياتي وبعد مماتي .

٤ - « ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة الرسول ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي » ، ويقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » .

٥ - مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري .

أقوال الإمام أحمد رحمه الله :

١ - لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا .

٢ - إن صح الحديث فهو مذهبي .

٣ - رأي مالك والأوزاعي ورأي أبي حنيفة رأيٌ ، وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار .

٤ - من رد حديث رسول الله فهو على شفا هلكة .

وقد خالف أبو يوسف ومحمد بن الحسن إمامهما أبا حنيفة في كثير من المسائل .

واختلفت فتاوى الشافعي وأقواله التي ذكرها في مصر عما سبق له أن أفتى بها في العراق حتى ميز العلماء بين مذهبه القديم بالعراق ومذهبه الجديد بمصر .

إن الإمام أبا يوسف - وهو من أجل أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله - عندما اجتمع بمالك بن أنس وسأله عن الصاع والمد وصدقة الخضراوات وما إلى ذلك فأجابه فيها بنقل أهل المدينة المتواتر . وقال لأبي يوسف : (أترى هؤلاء يا أبا يوسف يكذبون ؟) . قال : (لا والله لا يكذبون) . قال : (قد رجعت يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي - يعني أبا حنيفة - ما رأيت لرجع كما رجعت) . وتقدم .

وكان رجوع أبي يوسف إلى هذا النقل كرجوعه هو وصاحبه الإمام محمد إلى أحاديث كثيرة ، وتركهما قول شيخهما لعلمهما أن شيخهما كان يقول : (إن هذه الأحاديث أيضاً حجة إن صحت ولكن لم تبلغه) [1] .

قال أبو بكر الأثرم : كنّا عند أبي يعقوب البويطي - أبرُّ تلاميذ الشافعي بمصر

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/٣٠٦-٣٠٧) والإحكام في أصول الأحكام للإمام ابن حزم (٦/٨٥٥-٨٥٦) .

- فذكر حديث عمّار في التيمم ، فأخذ السكين وحته [١] من كتابه وجعله ضربة وقال : (هكذا أوصانا صاحبنا - يعني الإمام الشافعي - إذا صح عندكم الخبر فهو قولي) [٢] .

وإن ابن تيمية رحمه الله رغم كونه حنبلياً إلا أنه كانت له اجتهادات مخالفة لإمامه ، بل وحتى مخالفة للأئمة الأربعة ومع ذلك اعتبر مجتهداً اجتهاداً جزئياً لا مطلقاً .

وهكذا المزني رحمه الله خالف شيخه وإمامه الشافعي رحمهما الله تعالى ولم يرد عن المتقدمين من منع الأخذ لمتبع في مذهب معين بأقوال في مذاهب أخرى أو إذا كان أهلا للاجتهاد بما أن هدفه البحث عن الأصح والأصوب والأكثر موافقة للقرآن والسنة .

ولله در القائل :

قال أبو حنيفة الإمام ... لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقوالي حتى تعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة ... قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتم ... قولي مخالفاً لما رويتم
من الحديث فاضربوا الجدارا ... بقولي المخالف الأخبارا
وأحمد قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته بل أصل ذلك اطلبوا
دينك لا تقلد الرجالا ... حتى ترى أولاهمو مقالا

قال ابن القيم رحمه الله :

والخوف كل الخوف فهو على الذي
ترك النصوص لأجل قول فلان

---

(١) أي حت قول الإمام الشافعي بأنه ضربتان والصحة ضربة واحدة لحديث عمّار الصحيح .

(٢) [قد بين معنى قول الشافعي هذا تقي الدين السبكي في كتابه (معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي) وهو مطبوع بتحقيق علي نايف بقاعي] .

فبعد هذه الأقوال هل يصح أن يقال أن هناك إجماع على تقليد المذاهب الأربعة ، كما صرح به بعض العلماء المقلدين؟ وهل هذه الأقوال هي رضى منهم بتقليدهم؟ وليس ببعيد على المقلدين أن يؤولوها ويجعلوها أدلة لهم في جواز التعصب والتقليد الأعمى [١] .

ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه أن يفتي السائل بمذهبه الذي يعتقده ، وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلاً ، فتحمله الرئاسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب في خلافه ، فيكون خائناً لله ورسوله وغاشاً له ، والله لا يهدي كيد الخائنين ، وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للإسلام وأهله ، والدين النصيحة ، والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق ، والباطل للحق [٢] .

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئسما الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران

وليكن غايتك الحق والتخلي من التعصب المذموم والتحلي بما ينصره ويعضده الدليل : لا يسلم من الخطأ أحد من بني آدم .

أخي : لقد فرض الله تعالى العدل والإنصاف ومن أعظم ذلك التفريق بين أهل البدعة وأهل السنة لتُعلم طائفة أهل الحق فتتبع ، وتحذر طوائف أهل البدع فتجتنب ، والحق لا محاباة فيه ولا مجاراة لأحد أيًا كان ، وجناب العقيدة أغلى من كل جناب ؛ إذ هو الذي بصلاحه صلاح الدنيا والآخرة .

أخي : جرد نفسك من التعصب والهوى والتقليد الأعمى ، ولا تقلد

---

(١) كما ذكر ذلك البوطي في كتابه (اللامذهبية) ورد عليه الشيخ صالح الفوزان فكفى وشفى ووفى .

(٢) الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد لمحمد إبراهيم شقرة (٨٠) .

الأشخاص فالحق لا يعرف بالرجال ولكن الرجال يعرفون بالحق ، وهذا ما أشار إليه علي بن أبي طالب ﷺ : (يا حارث لا يعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله) .

ويقول الأوزاعي رحمه الله : (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم) .

أخي في الله أكرر وأقول على الرأس والعين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما أخطاء الناس فمرفوضة ولو كان أصحابها معذورين مأجورين .

يا هذا اقبل الحق ممن قاله ، وإن كان بغيضًا ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيباً والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

قال القاضي عياض - رحمه الله -: (عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين) .

وقال سفيان بن عيينة : (اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها) .

ولا ينبغي للمسلم أن يغتر بالكثرة ولا بأحسابهم ولا بأنسابهم ولا بشهرتهم وإنما الحكم بيننا جميعاً الكتاب والسنة . ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول :-

« فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك ، أو انتصارًا لمذهبك ، أو لشيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو الدنيا ، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله ، والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً لرسول ﷺ وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ﷺ ما أطيع فاعلم واسمع وأطع واتبع ولا تبتدع . تكن أبتر مردود عليك عملك بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع ولا خير في عامله والله أعلم » [١] .

(١) فتاوى شيخ الإسلام (٢٥٨/١٦ ، ٥٢٩) .

ولا تكن ممن قال فيه بعض المتأخرين وما أحسن ما قال :-

فإن جاءهم فيه الدليل موافقًا لما كان للآبا إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل : هذا مؤول ويركب للتأويل فيه صعابُ

أقول : أقوال الرجال يستضاء بها في فهم الكتاب والسنة فإذا خالفت شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ : ردت على قائلها فأقوالهم يحتج لها ولا يحتج بها كما ذكر ذلك غير واحد من المحققين .

فاتبع السلف تسلم وتغنم ولا يغرنك جلالة متبع فتتبعه في الخطأ فإنك بذلك تزري بالسلف الذي هم أولى بالاتباع منه وتزري بأعيان الأئمة كالأربعة السادة الفقهاء وغيرهم وإن ارتضيت مذاهبهم في الفروع فحري بك ارتضاؤهم في الأصول بل ذلك الواجب وإلا فيما السر في تقليدهم في الفروع ومخالفتهم في الأصول ؟! وينبغي على المسلم الواعي أن لا يقبل حديثاً أو أثراً أو قصة أو خبراً إلا بالتبين من صحة نسبته إلى قائله ، ولا يتأتى هذا إلا بالنظر في إسناده لمعرفة حال رواته من ناحية الاحتجاج بهم من عدمه ، فإن كان ليس من أهل النظر في الأسانيد ، فليرجع إلى المختصين في علم الحديث من أهل السنة فيسألهم إعمالاً لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] . وينبغي على طالب النجاة والسلامة أن يتحرى علماء السنة ، ولا يغامر بدينه مع علماء الفرق المبتدعة من الصوفية وغيرهم ، كما قال ابن سيرين - رحمه الله تعالى : « إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » [١] وكما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : « الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » [٢] .

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأَلَ وتَنظُرَ : هَل نَطَقَ بذلكَ القُرآنُ ، أو صَحَّت بهِ السُّنَّةُ ، أَو ثَبَتَ عن

---

(١) مسلم في مقدمة صحيحه (١٤/١) والترمذي في الشمائل (٣٩٧) الدارمي (٤٢٤) الخطيب في الكفاية (١٢٢/٢) .

(٢) مسلم في مقدمة (١٥/١) .

الصَّحابَةِ رضي الله عنهم : فَإِنْ أَصَبت فيه أَثَراً مِن ذلكَ فَتَمَسَّك بِهِ ولا تُجاوزه لِشَيء ، ولا تَخْتَرِ عليهِ غيره . وإنْ لم تُصِب فيها شيئاً من ذلكَ فاترُكهُ واطرَحهُ غَيرَ مَأسوفٍ عليهِ ، تكُن بإذِن الله a مِنَ الرَّاشدين ورحم الله امرءًا بعد ما بان له الحق بدليله أن يتبع الحق ويدع ما سار عليه وألفه مما فيه مخالفة للشرعِ والتبعة للآخرين بلا برهان ورحم الله امرءًا انتهى إلى ما سمع .

* * *

افتراء مبين

س : الأئمة المجتهدون الأربعة شهدت لهم الأمة بالفضل والعلم ، فلماذا بعض المسلمين الذين يرفضون التقليد والتعصب يهاجمونهم؟

ج : إن كثيراً من الذين لا يفهمون دعوة المنكرين للتقليد والتعصب وكلامهم يفترون عليهم بأنهم يبغضون الأئمة الأربعة ويدعون الناس إلى ترك آرائهم ومذاهبهم .

إنهم يحبون الأئمة الأربعة : أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ويقتدون بهم ، فهم السلف الصالح . وكانوا مثالاً في التقوى والورع والعلم والعمل والإخلاص وخدموا الإسلام خدمة عظيمة وهيأهم الله تعالى لحفظ كثير من الأحكام . وهم كانوا من العلماء الأجلاء العاملين الذين أدوا الأمانة قدر استطاعتهم رحمهم الله تعالى . والمسلمون الصادقون بريئون من كل مَنْ ينتقص من شأنهم أو يذمهم ، لأن الدين الحق والصحيح كما هو معلوم هو العمل بما كان عليه السلف الصالح من عقيدة وعلم وعمل وسلوك ، ولا شك أن الأئمة الأربعة الكرام كانوا من خيرة السلف رحمهم الله تعالى رحمة واسعة . نقول هذا ولا نجامل أحداً ، وإنما هو الحق الذي ندين به الله تعالى ونلقاه عليه يوم القيامة إن شاء الله تعالى :﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] . ولكن مع ما ذكرنا نقول وبصراحة : لسنا ملزمين بأن نتبع أو نقلد أحداً غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فكل قول أو رأي نزنه بهما ونعرضه عليهما ، فما وافقهما أخذنا به كائناً من كان قائله ، وما خالفهما نضرب به عرض الحائط دون النظر إلى صاحبه أو قائله لأن المعصوم فقط هو رسول الله ﷺ كما أشار إلى ذلك مالك ابن أنس رحمه الله تعالى .

ومن الأمور التي يجب أن يعلمها المسلم : أن الأئمة المجتهدين سواء كانوا من الأربعة أو غيرهم إذا قالوا رأياً خلافاً للكتاب أو السنة فهم معذورون في ذلك بل ومأجورون بدليل قول رسول الله ﷺ :

« إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب له أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد » البخاري (٧٣٥٢) ، مسلم (١٧١٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى : « بل قد يضل عن الحق ، من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز فلا يعاقب عليه بل يكون له أجر اجتهاده . وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له » .

وبعض الفقهاء المجتهدين ربما أخطأوا في بعض آرائهم إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة ، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها ، وإما لرأي رأوه ، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم وإذا ما اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] وفي الحديث الصحيح « أن الله تعالى قال : قد فعلت » رواه مسلم (١٢٦) .

فالعلماء معذورون في هذا واقرأ إن شئت كتاب ابن تيمية القيم « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » (*) لتعذر العلماء في خلافهم ولكنك لا تعذر الناقل المجرد المقلد المنكر على غيره خلاف تقليده .

فمن هذا المنطلق إذا خالفنا إماماً من الأئمة المجتهدين في قول من أقواله تبين لنا أنه أخطأ فيه فإن ذلك لا يعني إننا نذمه وإنما نثبت له أجراً واحداً لأنه اجتهد ، فربما يصيب أو يخطئ فنعمل بالصواب دون الخطأ ولا نرضى أن نكون مقلدين تقليداً أعمى أو متعصبين لشخص معين حتى يقال أننا نحب الأئمة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

قال ابن عباس رضي الله عنه : « ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف ذلك ؟ قال : يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله منه ، فيترك قوله ذلك ثم يمضي مع الأتباع » .

فيجب على المسلم أن يكون بصيراً واعياً يأخذ الحق أينما وجده ، ويترك غيره مهما كان اسمه .

(*) ومن أحسن الطبعات طبعة مكتبة المعارف بالرياض للنشر والتوزيع .

وإن أشد ما يؤثر في النفس افتراء وزعم كثير ممن ينتسبون إلى الدعوة إلى الله : أن توحيد الله معلوم بين المسلمين ولا داعي لطرقه أو تبيين حقيقته بينهم بل زعم بعضهم أنه يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين وزيادة الشقاق فيما بينهم . وهذا كما قال القائل :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فيا ليت أولئك سكتوا فلم يخذلوا إخوانهم الذين يسلكون منهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله ولم يغرروا بكثير من المسلمين الذين يسمعون مقالتهم فيركنون إليها فلا يلقون سمعا لداعي التوحيد حتى يعرفوا البون الشاسع بينهم وبين المسلمين الموحدين لله حقيقة .

أهل البدع والقبوريون لا يزالون يكيدون لأهل الحق بالتحريف والتشويه وتحريض العوام ضدهم بادعاءات منها أنهم يهينون أصحاب قبور من يعظمونهم .

فإن نهوا عن المغالاة في تعظيم الأولياء قالوا : هؤلاء لا يحترمون العلماء والسادة . وإن نهوا عن بناء المساجد على القبور وهدم القائم منها قالوا : هؤلاء لا يعظمون شعائر الله . وإن دعوا إلى دعاء الله وحده دون سواه قالوا : هؤلاء لا يعرفون قدر من نوسطهم بيننا وبين الله . فهي مقالة المشركين الأولين : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] ولكنها صيغت بأسلوب جديد ممن يدعي الإسلام والإسلام منهم براء .

ومن الافتراء ما يصم به أهل البدع أهل السنة والجماعة المنكرين عليهم موالدهم أنهم يكفرون أهل الموالد ، وأن الاحتفال بالمولد كُفر ، وانظر هذه التهمة ونماذج من التهم والرد عليها [مجلة البحوث الإسلامية التي عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء الرياض المجلد [٧٩/ص ٧ - ٢٢] . وإليك أخي ردّ سماحة والدنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله على بعض هذه المزاعم : (الحمد لله ، والصَّلاةُ والسَّلام على رسولِ الله وعلى آله وأصحابه ، أما بعد : فقد كَتبت منذ أيّام مَقالاً يَتضمن جواب سؤال عن حكم الاحتفالِ بالمولد ، وأوضحت فيه أن الاحتفال به من البدع المحدثة في الدّين ، وقد نشر المقال في

الصّحف المحليّة السّعوديّة وأُذيعَ في الإذاعة ، ثُمَّ علمت بعد ذلك أنَّ إذاعة لندن نَقلت عني في إذاعتها الصّباحيّة أني أقول بأنَّ الاحتفال بالمولد كُفرٌ . فتَعيَّن عليَّ إيضاح الحقيقة للقرّاء ، فأقول :

إنَّ ما ذكَرتَه هيئة الإذاعة البريطانية في إذاعتها الصَّباحية في لندن منذ أيّام عني أني قُلتُ بأنَّ الاحتفال بالمولد كُفرٌ : كَذِبٌ لا أساسَ له منَ الصِّحة ، وكلّ من يطّلع على مَقالي يَعرف ذلك ، وإني والله لآسف كَثيراً لإذاعة عالميّة يحترمها الكثير من النّاس ثم تقدم هي أو مراسلوها على الكذب الصّريح ، وهذا بلا شك يوجب على القرّاء التّثبت في كل ما تنقله الإذاعة خشية أن يكون كذباً كما جرى في هذا الموضوع وأسألُ الله ﷻ أن يحفظنا وجميع المسلمين من الكذب ومن كل ما يغضبه سبحانه إنه جواد كريم .

وللحقيقة جرى نَشره ، وَصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وَصحبه وسلّم [١] .

أقولُ : ولا أعلم مُستنداً لهذا القول وهو التكفير والتجاسر على تكفير من ظاهره الإسلام من غير مستند شَرعي ولا بُرهان يُخالفُ ما عليه أئمة العلم من أهل السّنة والجماعة ، وهذه الطريقة هي طريقة أهل البدع والضَّلال ، وهي ناشئة من عدم الخشية والتقوى فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال . وإطلاق القول بالتكفير دليل الجهل وعدم العلم بمدارك الأحكام ، ومسألة التكفير لم يقل بها السّلف الصَّالح إلا إذا وُجِدَ في الإنسان ما يُكفّره من أقوال وأفعال تُنافي عقيدة الإسلام .

---

(١) مَجلة البحوث الإسلامية ٦/٣١١ ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز ٢/٣٨٠ جمع الشويعر .

من القضايا الخطيرة

أن ينسب إلى الأئمة الأربعة أو غيرهم من أقوال هم برآء منها كبراءة الذئب من دم يوسف وقد ألف في تبرئة الأئمة رحمهم الله مؤلفات منها :-

١ - براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للدكتور عبد العزيز الحميدي .

٢ - البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع لمحمد سلطان المعصومي الخجندي .

٣ - مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه للخطيب البغدادي تحقيق وتعليق وتخريج خليل إبراهيم ملا خاطر .

٤ - الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله من الكذب والغلط لعلي أبو الحسن وعمر الأحمد .

٥ - القول الأحمد في بيان من غلط على الإمام أحمد لمراد شكري .

٦ - براءة السلف مما نسب إليهم من انحراف في الاعتقاد لعدنان عبد القادر .

٧ - دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية لمراد شكري .

* * *

الثروة الفقهية في كتب المتأخرين [١]

س : الكتب التي ألفها المتأخرون من فقهاء المذاهب الأربعة والتي لا يخرج كل كتاب عن مذهب معين وتكون بمجموعها فقهاً عظيماً بين أيدي المسلمين فهل من رأيكم أن نرمي بهذا الفقه في البحر حتى ترتاح الأمة من الأخطاء والهفوات التي امتلأت بها ، وقد ذكرتموها من خلال ما سبق من السطور والنقاش . كما تعلمون أن من بين أولئك كانوا علماء أفذاذاً في الحديث والفقه والأصول وفيهم من بلغ رتبة الاجتهاد ، ولكنه لم يجتهد لتقليده واعتقاده أن الاجتهاد قد أصبح شبه مستحيل بعد القرن الرابع . فهل نستفيد من جهودهم ؟

ج: يدعي بعض المقلدين المتعصبين أن رفض التعصب هو دعوة يراد منها إلغاء المذاهب الأربعة وإنشاء مذهب خامس محلها .

نقول إن دعوة الاتباع هي محاولة للقضاء على التفرق والخصام لذلك من غير المعقول أن نحاول إيجاد مذهب خامس جديد ونحن كما ذكرنا في أول هذه الردود لا نعادي أبداً الأئمة الأربعة ، إنما كل ما في الأمر هو أننا ضد التعصب المذهبي والتقليد الأعمى . الذي يجعل المذهب هو الأساس والمعتمد والأصل ويجعل الكتاب والسنة هما فرع فيرد منهما ما عارض المذهب .

إن كثيراً من الكتب المذهبية المتأخرة فيها الأحاديث الضعيفة والأدهى من ذلك أنه بنيت عليها أحكام فقهية ويعتبرها المقلدون أنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

لذلك نقول وبصوت عال أنه إذا جردت الكتب الفقهية من الأحاديث الضعيفة وما بنوا عليها من أحكام فإن هذا سيقلل من نقاط الخلاف وتقترب المذاهب من بعضها بصورة قوية وجلية .

---

(١) بين متبع ومقلد أعمى في فروع الفقه للدكتور عامر سعيد الزيباري (٨٩-٩٢) بتصرف يسير .

وكثير من كتب الفقهاء المتأخرين قدم فيها أصحابها أقوال المتأخرين على أقوال أئمة المذاهب أنفسهم أو أقوال أصحابهم . ولو كان الفقهاء المقلدون اقتصروا على الأئمة الأربعة ، لكان خيراً من أن يكون المسلم يقلد أقوال بعض المتأخرين المقلدين المتعصبين الذين يدعون أنهم خرّجوا أقوالهم واستنباطاتهم وفرضياتهم ومخارجهم وحيلهم من أصول الأئمة الأربعة حيث أن كل إمام له أصول أو منهج وعلى ضوئه يستخرج المقلد له الأحكام ويستنبطها ، فمن المسائل التي خالف المتأخرون أئمتهم على سبيل المثال :

١- عدم صحة اقتداء الحنفي بالشافعي وبالعكس كما سبق وخالفوا كذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (*) أن رسول الله ﷺ قال عن الأئمة : « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم » .

٢- يقول المنتسبون للمذهب الشافعي أن الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة سنة رغم أن الشافعي ذكر في كتابه الأم بوجوبها في الصلاة فقال : « فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة » .

٣- بالنسبة لتأمين الإمام بعد قراءة الفاتحة فقد ذهب الشافعيون على أن الإمام يسر به ولا يجهر به ولكن الشافعي في كتابه الأم أيضاً ذهب إلى أن الإمام يجهر بها ليقتدي من كان خلفه .

٤- أن المالكية يقنتون في صلاة الفجر رغم أن الإمام مالك لا يقول بالقنوت لا في الفجر ولا في غيرها كما جاء في الموطأ .

وصفة أخرى تتوفر في الكتب الفقهية المتأخرة المتداولة بين الناس هي خلو كثير منها من الأدلة الشرعية . فهي عبارة عن متون مختصرة جداً يحرصون على حفظها أكثر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلقد رأيت كثيراً من الناس قد حفظ بإتقان منهاج النووي في الفقه الشافعي عن ظهر غيب ومختصر خليل في الفقه المالكي ولا يحفظ إلا بضع آيات من كتاب الله وبضعة أحاديث وقد لا يحفظها ،

(*) (٦٩٤) .

ولذلك وجدت كثيراً من العلماء لما يسألون أو يستفتون ، لا يزيدون في الجواب أو الفتوى على قولهم جائز أو حرام بناء على ما عندهم من آخر كتاب مدون في مذهبه على الأغلب دون ذكر الدليل .

فعند الحنفية : كتاب مراقي الفلاح وكنز الدقائق والهداية وغيرها أو حاشية ابن عابدين .

وعند المالكية : كتاب مختصر خليل والرسالة للقيرواني .

وعند الشافعي : المنهاج للنووي والمنهج لزكريا الأنصاري أو متن الغاية والتقريب لأبي شجاع .

وعند الحنابلة : زاد المستقنع أو شرح منتهى الإرادات وغيرهما .

فغالباً ما يعتمدون على هذه الكتب وعليها الفتوى في كل مذهب .

ونعيد هنا ما ذكرناه سابقاً يجب أن لا يفهم من كلامنا هذا أن الكتب الفقهية المتأخرة يجب أن يرمى بها عرض الحائط أو في البحر ، كلا لا نقصد هذا . وإنما الذي نقصده هو تنقية هذه الكتب من هذه الأحاديث الضعيفة والواهية وما بني عليها من الأحكام . وبذلك تصلح للاستفادة منها . وضمها على ثروتنا الفقهية التي نفتخر بها أمام العالم . ولا يعني إطلاقنا لفظ (الكتب الفقهية) أن كل الكتب الفقهية تمتاز بما ذكرنا من الملاحظات والنقد . فلا ينكر أن هناك كتباً فقهية ممتازة وقد حاول مصنفوها أن يذكروا فيها الأدلة الصحيحة قدر الإمكان .

ومن هذه الكتب : المجموع للنووي والمهذب للشيرازي وفتح القدير لابن الهمام والمغني لابن قدامة والمحلى لابن حزم ... وغيرها .

اختلاف الرأي لا يفسد الود (١)

س : ألم يؤثر اختلاف الرأي بين الأئمة الأربعة في اختلاف قلوبهم مثل من بعدهم من المقلدين المتعصبين وخاصة المتأخرين ؟

ج : لقد شهد لهم التاريخ إنهم كانوا إخوة ، الواحد منهم يكن لأخيه كل احترام ومحبة وتقدير ولنذكر بعض النماذج من ذلك على سبيل المثال لا الحصر .

أبو حنيفة ومالك :

قال القاضي عياض عن الليث بن سعد أنه قال : لقيت مالكاً في المدينة فقلت له : إني أراك تمسح العرق عن جبينك .

قال : عرقت مع أبي حنيفة إنه لفقيه يا مصري .

قال الليث : ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له : ما أحسن قول مالك فيك .

فقال أبوحنيفة : ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام .

مالك والشافعي :

قال الشافعي : مالك بن أنس معلمي وعنه أخذت العلم . وإذا ذكر العلماء فمالك النجم .

أحمد ومالك :

عن أبي زرعة الدمشقي قال :

سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن مالك إذا اختلف مع سفيان أو الأوزاعي أو النخعي في الرواية .

فقال أحمد : مالك أكبر في قلبي وأحب ، وسئل عن رجل يريد حفظ حديث رجل واحد بعينه ؟

فقال : يحفظ حديث مالك .

---

(١) وهذا ربما قيد فيما يسوغ فيه الخلاف .

الشافعي وأحمد :

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال : لقيني يحيى بن معين فقال : أما يستحي أبوك مما يفعل ؟

قلت وماذا يفعل ؟

قال : رأيته مع الشافعي والشافعي راكب وأبوك آخذ بزمام دابته يقول صالح : فقلت لأبي ذلك فقال : إن لقيته فقل له :

يقول لك أبي أحمد : إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر .

وقال : كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس .

الشافعي وأبو حنيفة :

قال الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة .

هكذا كانت نظرة بعضهم لبعض فأين المقلدون المتعصبون الذين فرقوا دينهم وافتروا عليهم بأنه لا يجوز أن يصلي الحنفي وراء الشافعي والشافعي وراء المالكي والشافعي وراء الحنبلي وهكذا ، لقد كان يحترم الواحد منهم آراء غيره وما أخرجهم اختلافهم عن حدود الاحترام والثقة والأخوة والمحبة والتفاهم فيما بينهم .

لقد كانوا رحماء بينهم أشداء على أعداء الإسلام من فرق وملل وما أثاروا من محدثات الأمور وآراء وأفكار ضالة ، كانوا يداً واحدة على من سواهم . رحم الله تعالى أئمتنا جميعاً رحمة واسعة وخصوصاً الأربعة المجتهدين أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وجمعنا وإياهم في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار وحسن أولئك رفيقاً [١] .

(١) بين متبع ومقلد في فروع الفقه للدكتور عامر سعيد الزيباري(٦٣-٦٥) .

قضية خطيرة جداً (قاصمة الظهر)

وهو أن بعض من يقلد أحد الأئمة الأربعة نراه يقلده تقليداً أعمى في الفروع ويتعصب له إما في الأصول وهي العقيدة فنراه قلد بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة ونحوهم وربما تراه ذكر في كتابه مثلاً فلان الحنفي أو الشافعي أو المالكي أو الحنبلي مذهباً . الأشعري أو الماتريدي أو المعتزلي عقيدة . النقشبندي أو الشاذلي أو الرفاعي طريقة وهلم جرا وقد رأيت ذلك بأم عيني وهذه والله هي قاصمة الظهر وضياع العمر وشقاء الدهر نسأل الله السلامة والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

وتجد الواحد منهم بدون حياء يقول : أنا حنفي مذهباً الماتريدي عقيدة !!! والثاني يقول: أنا المالكي مذهباً والصوفي عقيدة !!!.. . والآخر يقول: أنا الشافعي مذهباً والأشعري عقيدة !!! .. . وهكذا .

وأنت إذا تدبرت تلك الكلمات وجدت لها أموراً خارجية مقصودة ... ظاهرها ترك الكتاب والسنة والإقبال على العصبية المذهبية .. . والعقائد الباطلة .. . [1]

* * *

(١) عقد الفصوص في تحريم ذكر الخلاف إذا ثبتت النصوص لفوزي بن عبد الله الأثري . (٢٣) .

مسألة : تتبع رخص العلماء وزلاتهم

والمراد بالرخص هنا رخص الفقهاء وتسهيلاتهم وهي أقوال العلماء الضعيفة والشاذة في مسائل الخلاف وليست الرخصة المشروعة كقصر الصلاة في السفر والإفطار فيه ونحوها من الرخص الشرعية ، والمراد بتتبعها هو اختيار ما هو الأهون والأسهل في كل مذهب والعمل به [١] .

ومن الأبواب التي فتحها الشيطان على مصراعيها للتلبيس على العباد باب تتبع رخص العلماء وزلاتهم ، وخدع بذلك الكثيرين من جهلة المسلمين فانتهكت المحرمات ، وتركت الواجبات تعلقاً بقول زيف وتمسكاً برخصة كالطيف !

وإذا ما أنكر عليهم منكر تعللوا بأنهم لم يأتوا بهذا من قبل أنفسهم ، بل هناك من أفتى لهم بجواز ذلك . يا حسرة على العباد ! جاءت الشريعة لتحكم أهواء الناس وتهذيبها فصار الحاكم محكوماً ، والمحكوم حاكماً ، وانقلبت الموازين رأساً على عقب .

فصار هؤلاء الجهلة يحكمون أهواءهم في مسائل الخلاف ، فيأخذون أهون الأقوال وأيسرها على نفوسهم دون استناد إلى دليل شرعي بل تقليداً لزلة عالم لو استبان له الدليل لرجع عن قوله بلا تردد ولا تلكؤ .

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول لجابر بن زيد وقد لقيه في الطواف : يا أبا الشعثاء ، إنك من فقهاء البصرة ، فلا تفت إلا بقرآن أو سنة ، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت [٢] .

فإذا ما نصحوا بالدليل الراجح ، وطولبوا بحجج الشرع الواضحة تنصلوا من ذلك بحجة واهية ، وهي أن من أفتاهم هو المسئول عن ذلك وليسوا بمسئولين ، فقد قلدوه والعهدة عليه إن أصاب أو أخطأ ، معتقدين أن قول فلان من الناس يصلح حجة لهم يوم القيامة بين يدي الملك الديان .

---

(١) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٨٩) .

(٢) الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد لمحمد إبراهيم شقرة (٧٨) .

فإن تعجب من ذلك فدونك ما هو أعجب منه : إنهم يأخذون برخصة زيد من الفقهاء في مسألة ما ، ويهجرون أقواله الثقيلة في المسائل الأخرى ، فيعمدون إلى التلفيق بين المذاهب ، والترقيع بين الأقوال ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولا يخفى عليك ما في هذا من التهاون بحدود الشرع وقوانينه .

وأشاع الشيطان بين هؤلاء السفهاء مقولة غرارة ، وهي : (ضعها في رأس عالم واخرج منها سالماً) وما هو - والله - بسالمٍ ! فإذا نزلت بأحدهم نازلة ذهب إلى بعض المتساهلين في الإفتاء ليبحث له عن مخرج من ورطته هذه ، فينقب له - رقيق الدين هذا - في بطون الكتب ويغوص له في زوايا الأسفار بحثاً عن قائل برخصة فيفتيه بذلك طمعاً بنفعٍ دنيوي زائل [1] .

ولقد حذر السلف - رضوان الله عليهم - من زلات العلماء ، فالعالم عندما يخطئ ، لا يقتصر خطؤه عليه بل يتابعه على ذلك جمع غفير ، ولذلك قيل إذا زلَّ العالِم - بكسر اللام - زل العالَم - بفتحها . وقالوا أيضاً : العالم كالسفينة إذا كُسرت غرقت ، وغرق معها خلقٌ كثير [2] .

---

(١) زجر السفهاء عن تتبع رخص العلماء لجاسم الفهيد الدوسري (٧-٨) .

(٢) زجر السفهاء عن تتبع رخص العلماء لجاسم الفهيد الدوسري (١٦) .

مسألة : مفهوم تغير الفتوى

وليس معنى تغير الفتوى ما يفهمه بعض الجهال أو المغرضين أن ذلك من أجل مجاراة العصور ، أو أهواء الناس ورغباتهم ، فإن ذلك من أعظم الضلال قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص : ٥٠] [١] .

تأثيرات الزمن على الفتوى

السؤال : كثيراً ما يدور بين الناس بأن الأمور التي كانت محرمة مثل المذياع في السابق أصبح حلالاً ، ويقولون بأن تغير الزمان أو المكان له أثر في الفتيا ، أرجو من فضيلتكم بيان الحق في ذلك ، وكيف نرد على من يقول ذلك ؟ جزاكم الله خيراً .

الجواب : الفتوى في الحقيقة لا تتغير بتغير الزمان ، ولا بتغير المكان ، ولا بتغير الأشخاص ، ولكن الحكم الشرعي إذا علق بعلة فإنه إذا وجدت فيه العلة ثبت الحكم الشرعي ، وإذا لم توجد لم يثبت الحكم الشرعي ، وقد يرى المفتي أن يمنع الناس من شيء أحله الله لهم لما يترتب على فعل الناس له من المحرم كما فعل عمر رضي الله عنه في طلاق الثلاث حين رأى الناس تتابعوا فيها فألزمهم بها ، وكان طلاق الثلاث في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فلما رأى عمر الناس تتابعوا في هذا ألزمهم بالثلاث ومنعهم من الرجوع إلى زوجاتهم وكذلك ما حصل في عقوبة شارب الخمر كانت العقوبة في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر لا تزيد على الأربعين جلدة ثم إن الناس كثر شربهم الخمر ، فاستشار عمر الصحابة رضي الله عنهم فأشاروا بأن يجعل العقوبة ثمانين جلدة . فالأحكام الشرعية لا يمكن أن يتلاعب بها الناس كلما شاؤوا حرموا ،

---

(١) الاجتهاد للشيخ صالح الفوازان (٢٧) .

وكلما شاؤوا أوجبوا وإنما يرجع إلى العلل الشرعية التي تقتضي الوجوب أو عدمه .

وأما بالنسبة للمذياع : فلم يقل أحد بتحريمه من علماء التحقيق وإنما قال بتحريمه أناس جهلوا حقيقة الأمر ، وإلا فإن العلماء المحققين - وأخص منهم شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله - لم يروا أن هذا من المحرمات ، بل رأوا أن هذا من الأشياء التي علمها الله ﷻ الخلق ، قد تكون نافعة وقد تكون ضارة بحسب ما فيها . وكذلك مكبر الصوت - مكرفون - أيضاً أنكره بعض الناس أول ما ظهر لكن بدون تحقيق ، وأما المحققون فلم ينكروه بل رأوا أنه من نعمة الله ﷻ أن يسر لهم ما يوصل خطبهم ومواعظهم إلى البعيدين منه .

فتوى للشيخ ابن عثيمين عليها توقيعه .

الفتوى في هذا العصر

السؤال : ما رأيكم في المقولة التي تقول : عن أمور العصر تعقدت وأصبحت متشابكة : لذلك لا بد أن تخرج الفتيا من فريق متكامل يضم كافة المختصين بجوانب المشكلة أو الحالة ومن بينهم الفقيه؟

الجواب : إن الفتوى ينبغي أن تتركز على الأدلة الشرعية ، وإذا صدرت الفتوى عن جماعة كانت أكمل وأفضل للوصول إلى الحق ، لكن هذا لا يمنع العالم أن يفتي بما يعلمه من الشرع المطهر .

مجلة البحوث الإسلامية عدد ٣٢ ص ١١٧ الشيخ ابن باز .

مسألة: موقف المستفتي من اختلاف المفتين

وإن مما وقع فيه بعض الناظرين في اختلاف العلماء اختيار قول من أقوالهم من غير مرجح معتبر وذلك باطل باتفاق العلماء [١] . ونحن نقول إذا سأل المستفتي أكثر من عالم فاختلفوا أو اشتهرت فتاوى العلماء مع اختلافها كما هو الحال في عصرنا فإن العوام ربما عرفوا فتوى أكثر من عالم في المسألة الواحدة فما موقفهم؟ وبم يأخذون؟

الواجب على المستفتي إذا تعارضت الفتاوى أن يأخذ بفتوى الأعلم من المفتين فإن تساووا أخذ بقول الأتقى والأورع فإن جهل الأعلم والأورع سأل العارفين بهم من ذلك ثم أخذ بمن يغلب على ظنه أنه الأعلم والأتقى [٢] .

وقال بعض العلماء يتخير وقال بعضهم يعمل بالأحوط وقيل يعمل بالأسهل والأول هو الصحيح والدليل على صحته أن فتوى العالم عند العامي كالدليل عند المجتهد وإذا تعارضت الأدلة عند المجتهد وجب عليه طلب الترجيح فكذلك العامي إذا تعارضت عنده الفتوى .

(١) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٩٥) .
(٢) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض نامي السلمي (٤٨٦-٤٨٧) .

مسألة : إذا اجتمع حاظر ومبيح فماذا يقدم ؟

يقدم الحاظر على المبيح صيانة لدينه عن الشبهات لقوله ﷺ : « إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ... الحديث [١] » [٢] .

وفي الحديث الآخر : « البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك » [٣] .

وقال الطيبي في شرح قوله ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة » [٤] .

« جاء هذا القول ممهداً لما تقدمه من الكلام ، ومعناه : إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق وترتاب من الكذب . فارتيابك من الشيء منبئ عن كونه مظنة للباطل فاحذره وطمأنينتك للشيء مشعر بحقيقته فتمسك به . والصدق والكذب يستعملان في المقال والأفعال ، وما يحق ويبطل من الاعتقاد » .

قال الشيخ علي القاري : « حقيقتها (أي الريبة) : قلق النفس واضطرابها فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ، كونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له » [٥] .

وقال العسكري : « لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه استوعب كل ما قيل في تجنب الشبهات » [٦] .

---

(١) البخاري (٢٠٥١) مسلم (١٥٩٩) .
(٢) زجر السفهاء عن تتبع رخص العلماء لجاسم الفهيد الدوسري (٢٣) .
(٣) أحمد (٤/٢٢٧-٢٢٨) الدارمي (٢/٢٤٥-٢٤٦) وصححة الألباني في الترغيب والترهيب (١٧٣١) .
(٤) أحمد (١/٢٠٠) والدارمي (٢/٢٤٥) والترمذي (٢٥١٨) وصححه الألباني وانظر الأرواء (١٢ و٢٠٧٤) .
(٥) زجر السفهاء عن تتبع رخص العلماء لجاسم الفهيد الدوسري (٢٥) .
(٦) فيض القدير للمناوي (٣/٥٢٩) .

قواعد خاطئة

«الاختلاف رحمة» مستدلين بحديث غير ثابت «اختلاف أمتي رحمة» .

انظر: لا تكذب عليه متعمداً (٤٧-٤٧-٤٩) الدرر (٦) م الأحاديث التي لا أصل لها (١٨) قضاء الأرب (٢٦٢) تمييز (٤٢) أسنى (٧٥) مختصر المقاصد (٣٦) م تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي (٦٠) تذكرة (٩٠) الشذرة (٣٧) الأسرار (١٩٢) النوافح (٥٩) تخريج الإحياء (٨٦/١) فيض (٢٨٨/١) كنز (٢٨٦٨٦/١٠) م الضعيفة (١/ ٥٧) خفا (١٥٣/١) الجامع (٢٨٨) تذكرة المحتاج (٦٢) الفتاوى الحديثية (٣٠) المشتهر (٧٢) كتب ليست من الإسلام (٦٥) المقترح (٩) الفصل المبين (٢٣٤) مجموعة رسائل الرفاعي (١٣١-١٣٥) الميزان (١٥١٣/٢) .

إذا أنكر عليهم منكر عدُّوه متزمتاً ، وإذا أفتى مفتٍ بالمنع والتحريم في مسألة مختلف فيها قالوا : لِمَ تفتي بالمنع والتحريم والمسألة محل خلاف والخلاف رحمة ؟ (١)

ومن هذا أيضاً جعل بعض الناس الاختلاف رحمة للتوسع في الأقوال وعدم التحجر على رأي واحد (٢) ، ويقال له : لقد حجرت واسعاً ، ومِلت بالناس إلى الحرج ، وما في الدين من حرج وما أشبه ذلك ، وهذا القول خطأ كله ، وجهل بما وضعت له الشريعة (٣) . أقول : وجود الخلاف ليس بمسوغ لأحد أن يأخذ بأي القولين شاء دون نظر وتثبت .

وليس كل خلاف جاء معتبر إلا خلاف له حظ من النظر

وعلى الناظر في مسائل الخلاف أن يختار القول الذي يرجحه الدليل بغض

(١) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٧١) .
(٢) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٧٢) .
(٣) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٧٣) .

النظر عن طبيعة هذا القول من حيث اليسر والشدة يقول الشيخ ابن عثيمين : الخلاف المعتبر بين العلماء والذي ينقل ويذكر هو الخلاف الذي له حظ من النظر أما خلاف العامة المتعالمين الذين لا يفهمون ولا يفقهون فلا عبرة به [١] .

« كل مجتهد مصيب » .

قد ظن بعض المتساهلين « كل مجتهد مصيب » ؛ وبناءً عليه ؛ فإنه يصح للناظر في اختلاف المجتهدين أن يأخذ بما شاء [٢] .

وليس الأمر كذلك بل الصحيح أن لكل مجتهد نصيب وليس كل مجتهد مصيب فإن الصواب واحد لا يتعدد .

---

(١) كتاب العلم (١٨٧) .

(٢) ضوابط تيسير الفتوى للدكتور محمد بن سعد اليوبي (٨٣) .

وهذه أحاديث لم تثبت بنى عليها بعض المتعالمين قواعد ساروا عليها

(ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) :

درجته : لا أصل له مرفوعاً ، وإنما هو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه .

انظر : الدرر (٤٠٢) تمييز (١١٨٩) أسنى (١٢٥٨) نصب الراية (١٣٣/٤) صيانة (٣٢٦) خفا (٢٢١٤/٢) الضعيفة (٥٣٣/٢) المقاصد (٩٥٩) الحلية (٣٧٥/١) البداية والنهاية (٣٢٧/١٠) البدعة وأثرها (٣٧) المشتهر (٧٢) النخبة (٢٩٤) الأدب - عبد المنعم - (٤٥و٤٦) م أصول البدع (٧٩) تحفة الطالب (٣٤٤) م مختصر المقاصد (٨٨٩) أصول في البدع والسنن (٥١-٥٣) الأدب (٢٤) - مشهور - م .

(إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم) و في لفظ : (إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم) (عليكم بالسواد الأعظم) .

درجته : ضعيف جدا دون قوله : (إن أمتي لا تجتمع على ضلاله) .

انظر : تذكرة المحتاج (٥١و٥٨) ابن ماجه (٣٩٥٠/٢) م عبد بن حميد (٣/ ١٢١٨) م ، ابن أبي عاصم في السنة (٨٤) م التنكيت (١٨٤) م ضعيف ابن ماجه (٨٥٦) اللالكائي (١٥٣/١) م موارد الأمان (١٣٥) صيانة (٢٢٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢٩/١) كشف الغمة (٤٤٦) تحفة الطالب (٣٧) الإبانة (١١٨/١) وجوب لزوم الجماعة . . (٧٠) م تخريج أحاديث وآثار منهاج البيضاوي (٥٦) تنقيح التحقيق (٦٨٧/١) .

(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

وفي لفظ : (مثل أصحابي ....) .

درجته : موضوع .

انظر : تخريج أحاديث البيضاوي (٥٥) ذيل الميزان (٢٥٩) الدر المنظوم (٣٥١) الضعيفة (٥٨/١) جامع بيان العلم (١٦٨٤/٢) م منهاج السنة (١٤٢/٧)م

الأدب عبد المنعم (٤٥) م فتح الوهاب (٨٢٢/٢) مسند القضاعي (٢/ ١٣٤٦) م كنوز الحقائق (٧٥١/١) م الإفادة (١١٦/١) م تحت المجهر (٦٢/٢) عبد بن حميد (٧٨١/٢) م المعتبر (٣٢) المتناهية (٤٥٧/١) الأدب - مشهور - (٢٣) م التلخيص (٢٠٩٨/٤) تذكرة المحتاج (٥٧) الكامل (٣٧٦/١و٣٧٧) تحفة الطالب (٤٩) كتب حذّر منها العلماء (٢/ ٢٩٤) شرح السنة - البهربهاري (٧٧) .

(عليكم بدين العجائز) .

درجته : لا أصل له .

انظر : الأحاديث التي لا أصل لها (٧) تمييز (٨٧٦) الدرر (٣٠١) الأسرار (٣٠٤) أثر الأحاديث الضعيفة (٣٠) طبقات الشافعية (٣٣٣/٦) الفوائد (٤٣٤) أسنى (٩١٩) خفا (١٧٧٤/٢) الغماز (١٥٨) الضعيفة (٥٣/١) الكشف الإلهي (٥٧٢) تخريج الإحياء (٢٤٦٦/٤) المصنوع (١٩٩) تذكرة (١٦) النخبة (٢٠٦) تحذير المسلمين (٥٣٨) الاعتبار بما في الإحياء (٢٠) تنزيه (٣١١/١) إتقان ما يحسن (١١٣٩/١) الصغاني (٧٦) مختصر المقاصد (٦٦٤) المقاصد (٧١٤) الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٤) .

(إذا كان آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين البادية والنساء) .

درجته : موضوع .

انظر : الجامع (٨٠٧) أثر الأحاديث الضعيفة (٣٠) ميزان (٥٠٤/٣) ترتيب (١٧٩) الفوائد (١٣٦١) ضعيف (٦٣٨) لآلئ (٢٥٢/١) الدرر (٣٠١) الموضوعات (٢٧١/١) كنز (٩٠٤/١) فيض (٨٠٧/١) معرفة التذكرة (٧٩) الكامل (٢١٨٥/٦) أسنى (١٣٧) تنزيه (١٣٦/١) الضعيفة (١/ ٥٤) الأحاديث التي لا أصل لها (٧/١) الأباطيل والمناكير (٢٨٧/١) الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٤) القيسراني (٨٢) .

فائدة

وقد عثرت على رسالة بعنوان « نصف العلم لا أدري » لأبي سهيل خالد الرمضان .

ذكر كل ما يتعلق بكلمة لا أدري تفسيرها ومواضعها في الكتاب والسنة والألفاظ ذات الصلة بها وتاريخها وحكمها وأهلها وصور ونماذج وفضلها وفوائدها ومواطنها ومجالاتها وأسباب الإحجام عنها وعواقب ومثالب تركها وعلاج ذلك وطرائف وفوائد .

تنبيه :

ومنها بعضهم إذا سئل عن أمور دنيوية ليست شرعية قال : « الله ورسوله أعلم » .

تنبيه آخر : بعض الناس إذا أراد أن يسأل يقول : ما رأي رجال الدين في كذا ونقول له : هذا غير صحيح والصواب أن يقال : حكم الشرع فالرأي إنما هو القول العاطل عن الدليل والشرع كله تابع للدين وقوله رجال الدين هذا اصطلاح كهنوتي فليس في ديننا ولله الحمد رجال دين ورجال غير دين [١] .

---

(١) انظر نقد هذا الاصطلاح في معجم المناهي اللفظية (١٠٧) .

موعظة

انظر إلى هذا الليل البهيم كيف يمحوه النهار ويُذهب ظلمته وانظر إلى الغصن الأخضر كيف ييبس ثم يتفتت ويتناثر على الأرض وانظر إلى الزهرة الجميلة كيف تذبل ويذهب رونقها وبهاؤها وانظر إلى الشمس عند غروبها كيف تغير لونها وزالت حرارتها وانظر إلى القمر في آخر الشهر كيف يذهب ضوؤه ، وهذا حالنا يا عبد الله : طفولة يعقبها شباب ثم كبر وهرم ثم موت وبعث ثم حساب وجزاء فكل إنسان في هذه الدنيا في سفر ويا ليت شعري ما يعقبه في هذا السفر أيعقبه نعيم أو سقر ؟

فانظر يا عبد الله ما أنت قادم عليه ؟ وما مصيرك ؟ وماذا ينتظرك ؟

فكر ملياً في هذه الدنيا وتقلبها بأهلها واستعرض في مخيلتك من ذهب وتركها ماذا وجد؟

تركها الأغنياء والفقراء ، والأمراء والوزراء ، والرجال والنساء ، وأنت يا عبد الله سائر على هذا الطريق ! فهل أخذت العدة ؟ . [١] .

أخي الشاب :-

أين الأولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين إدريس رفيع رب العالمين أين إبراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الأبرار أين الأمم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الأبطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبراً وعتياً أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشياً أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعزاً هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً أفناهم الله مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم

(١) انتبه أيها الشاب لعبد الله بن يوسف العجلان (٥-٦) .

ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم وهجرهم الإخوان والأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء ولو نطقوا لأنشدوا :-

مقيم بالحجون رهين رمس	وأهـــلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهم حبيبـــاً	ولا كانوا الأحبة في السواد
فعرجوا بالسلام فإن أبيتـم	فارموا بالسلام على البعاد

أخي لا تدري ربما فجأة يتوقف نفسك فجأة تتوقف دقات قلبك فحينئذ يحين الأجل ومن الدنيا تنتقل إلى الآخرة وترحل .

(قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ » يعني الْمَوْتَ) [١] .

فالموتُ هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومُيتم الأطفال ومرمل النساء وقاطع الأماني .

فكم من بيت أدخل الحزن عليهم إنه الموت الذي ما ذكر في كثير إلا قلَّلَهُ ولا غالي إلا رَخَّصَهُ .

يا نَفسُ أينَ أبي ، وأينَ أبو أبي ،

يانَفسُ أينَ أبي ، وأينَ أبو أبي ،	وأبُوهُ عدِّي لا أبَا لكِ واحْسُبِي
عُدّي ، فإنّي قد نَظَرْتُ ، فلم أجدْ	بيني وبيْنَ أبيكِ آدَمَ مِنْ أبِ
أفأنْتِ تَرْجينَ السّلامَةَ بَعدَهمْ ،	هَلّا هُديتِ لسَمتِ وجهِ المَطلَبِ
قَدْ ماتَ ما بينَ الجنينِ إلى الرَّضيعِ	إلى العطيم إلى الكبير الأشيب
فإلى متى هذا أراني لاعباً	وأرَىَ المنيَّةَ إنْ أتَتْ لم تلعَبِ
الـنـاس فـي غـفـلاتـهـم	ورحـى الـمـنـيـة تـطـحـن
خليلي كم من ميت قد حضرته	ولكنني لم أنتفع بحضوري
وكم من ليالي قد أرتني عجائبا	لـهـن وأيام خـلـت وشـهـور
وكم من سنين قد طوتني كثيرة و	كم من أمور قد جرت وأمور
ومن لم يزده السن ما عاش عبرة	فذاك الذي لا يستنير بنور

(١) [أَخرَجَهُ : الترمذي (رقم : ٢٣٠٧) والنسائي (رقم : ١٨٢٤) ابن ماجة (رقم : ٤٢٥٨) قال الألباني في صحيح الترمذي : حَسنٌ صَحيحٌ . وانظر إرواءُ الغليل (رقم : ٦٨٢)] .

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعص الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا لقطاً وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه نرى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أتركها خلفي وأخرج من دنياي عريانا
أبعد سنين قد قضيتها لعباً قد آن أن تقصري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصا وهذا الدهر يزجرنا كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا مدائن كان العز مفرشها واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
يا راكضاً في ميادين الهوى مرحاً ورافلا في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كانا ما كانا
إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع موت قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء أو باعه ومن اشترى
نموت وننسى غير أن ذنوبنا إذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى

تيقن حق اليقين أن ملك الموت كما تخطاك إلى غيرك فهو في الطريق إليك . واعلم أن الحياة مهما امتدت بك وطالت فإن مصيرها إلى زوال وما هي إلا أعوام وأيام ولحظات وتصبح وحيداً فريداً .

فكر أخي معي قليلاً إذا مضت عليك الأيام وجاءك اليوم تلو اليوم فانظر إلى آخر الأيام إذا طويت رحلك وأذنت بالرحيل من هذه الدار أين الملذات والمشتهيات والملهيات لم يكن شيئاً كأنك لم تنزل بذلك المكان نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا . . نعم مضت الأيام والسنون والأعوام فالله أعلم بما خبأت فيها من خير ترجوه أو شر تلقى الله به .

كأن شيئاً لم يكن إذا انقضى وما مضى مما مضى فقد مضى

كم تسمع من يخرج من بيته معافى ثم لا يرجع إلا إلى المقابر . تذكر حين تخرج من بيتك هل ترجع كما خرجت وإلا لا ترجع إلا محمولاً على النعش للمقبرة تذكر حينما تلبس ثوبك هل تخلعه أنت أم يخلعه غيرك .

لنعتبر بمضي الأزمنة والأوقات والشهور والأعوام كيف مضت وانقضت وخلت وانقرضت وسلفت وذهبت وخلت الليالي ودرج الوقت وتصرم الشهر وانسلخ العمر .

تذكر عندما تفاجأ بنزع الروح وسكرات الموت ؟ عندما تنظر إلى هذه الدنيا نظرة الفراق والوداع وعيون أهلك ترمقك بحسرة ولا يستطيعون رد القضاء عنك وقلبك يتقطع حسرة وندامة على خطيئات أسرفت بها على نفسك وعلى أعمال طاعة أضعتها وفرطت فيها .

ثم بادر أهلك بشراء كفنك ، ثم قلَّبك المغسِّل ، ثم رفعت على النعش فوق أكتاف الرجال لتودع في قبرك ، ثم وضعت في القبر وحيدًا فريدًا غريباً ، وتقدم أحد أقاربك ليجعلك في القبر على الجنب الأيمن موجهاً إلى القبلة .

وبعدها ينقطع تعلق الأحياء بك مباشرة مع آخر عقدة يحلها من كفنك ممن تولى دفنك وإنزالك في القبر ، ثم يتقدم أبوك أو أخوك أو قريبك ليصف اللبنات على اللحد ويجتهد في سد الثغرات بينها بالطين رحمة بك وبعد أن ينهال عليك التراب ويتم دفنك فإذا بك تبدأ أول مراحل الحياة البرزخية حيث تسمع صوت نعل ذويك وهم ينصرفون من عند قبرك ، ثم تواجه مصيرك الذي أعددت له بأعمالك في هذه الدنيا فتتوالى عليك الكربات بدءاً بفتنة القبر وسؤال الملكين .

ستندم يا عبد الله إن فرطت وحان الرحيل وأمسيت مريضاً تقاد ومنعت من التصرف فيما جمعت ومنع عنك العواد ، وكفنت بأبيض الثياب وحملت على الأعواد ، وأودعت في ضيق لحد وغربة ما لها نفاذ ، تغدوا عليك حسرات وتروح إلى يوم التناد فَخَيِّل لنفسكَ يا ابن آدم إذا أُخِذْتَ مَن فراشِك إلى لوحِ مغْسَلَتِك

فَغَسَّلَكَ الغاسلُ وأُلْبِسْتَ الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران وبكت عليك الأصحاب والإخوان :

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

* * *

ركوبُكَ النّعشَ يُنْسيكَ الركوب على ... ما كنتَ تركَبُ من بغلٍ ومن فرسِ

يوم القيامة لا مالٌ ولا ولدٌ ... وضَمَّةُ القبرِ تُنْسي ليلةَ العرسِ

سبحان الله الموت يأتي ولا يفرق بين الطفل والشاب والصبي والعجوز وحتى الجنين في بطن أمه .

ما للمقابر لا تجيب إذا رآهن الكئيب ... حفر مسقفة عليهن الجنادل والكثيب

فيهن أطفال وولدان وشبان وشيب ... كم من حبيب لم تكن عيني بفرقته تطيب

غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب

يقول النبي ﷺ : [ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه] (*) .

يا من بدنيا اشتغل ... وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل

يقول أنس بن مالك ﷺ : (يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلها : يوم يجيء البشير من الله ﷻ إمّا برضاه وإما بسخطه ، ويوم الموقف بين يدي الله وليلة مبيت الميت في قبره مع أهل القبور فلم يبت ليلة مثلها ، وليلة صبيحتها القيامة ليس بعدها ليلة) .

فارقتُ موضع مَرْقدي يوماً ففارقني السكون

القبرُ أولَ ليلةٍ بالله قل لي ما يكون

تفكر في حالك عند نزول ملك الموت سكرات وغمرات وكربات

(*) الترمذي (٢٣٠٨) ابن ماجه (٤٢٦٧) الحاكم (٣٧١) وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٥٦٢٣/٢) والمشكاة (١٣٢) .

وحسرات ، وتفكر في حال جسمك بعد الموت وقد تقطعت أوصالك وتفتت عظامك وبلي جسدك وأصبحت قوتاً للديدان .. . ثم تفكر في الصور إنها صبيحة العرض على الله ﷻ فتسمع الصوت فيطير فؤادك ويشيب رأسك فتخرج مغبراً حافياً عارياً ، وقد رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بساً وشخصت الأبصار ...

تفكر إذا برزت النار فأحرقت وزفرت وتفكر في حال المنصرف إما إلى جنة عرضها عرض السموات والأرض ، وإما إلى نار تلظى والعياذ بالله .

رويدك يا مسكين سوف ترى غداً

إذا نصب الميزان وانتشرت الصحف

يا ويح قلبي ما استتاب ... مما جنته يد الشباب

يا خجلتي يوم الحساب ... من ناقد يحصي علي

عصيت الله أيامي وليلي ... وفي العصيان قد أسبلت ذيلي

فويلي إن حرمت جنان عدن ... وويلي إن دخلت النار ويلي

ماذا بعد القبور من الأهوال والأحوال والأمور والبعث والحساب والحشر والنشور .

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعد ذا عن كل شي

تذكر أيها العبد المسكين يوم تخرج من قبرك وحيداً فريداً حسيراً كسيراً أسيراً خرجت متحيراً مبهوتاً مكشوفاً حقيراً ذليلاً حافياً عارياً لا ثوب يواريك خرجت إلى جبار السموات والأرض ليسألك ويحاسبك عن الأيام التي مضت والأعوام التي انقضت .

تذكر قدومك على الله ، تذكر يوم لقاء الله ، تذكر وقوفك بين يدي الله تذكر يوم العرض على الله في يوم تدافعت وتزاحمت الأمم وجثت على الركب .

تصور نفسك وأنت واقف مع الخلائق الذين لا يعلمهم إلا الله إذ نادى المناد على رؤوس الأشهاد إذ نودي باسمك على رؤوس الخلائق مع الأولين والآخرين .

أين فلان بن فلان يا فلان بن فلان هلم للعرض على الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

إنه يوم تنتهي عنده الأيام وتتبدد عنده الأوهام وتجمع فيه الخصوم وتنشر فيه الدواوين وتنصب الموازين .

إن يوم القيامة يوم العرض الأكبر ذلكم اليوم العظيم المهول يوم يقوم الناس لرب العالمين لذلك اليوم أهوال عظيمة وشدائد جسيمة وعجائب ودواهي وطوام عظام يحار فيها اللبيب ويندهش الحليم ويحتار . فيه تنخلع القلوب وتذوب الأكباد وتنسى الأولاد وتشيب الولدان ويتقطع الفؤاد وتطيش العقول وتبلغ القلوب الحناجر .

الأجساد عارية والأقدام حافية والقلوب وجلة واجفة خاشية والعقول ذاهلة والأبصار خاشعة .

ويكفي من أهوال القيامة وكرباتها وشدائدها وأحوالها أن الطفل الصغير الذي لم يجر عليه القلم ولم يعمل أي عمل يشيب رأسه من هول ذلك اليوم وصدق الله ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمّل : ١٧] .

وقد شاب الصغير بغير ذنب	فكيف تكون حال المجرمين
يوم القيامة لو علمت بهوله	لفررت من أهل ومن أوطان
كأني بنفسي في القيامة واقف	وقد فاض دمعي والفرائص ترعد
مثل وقوفك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت	حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها	ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها	فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت	تبدي لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت	وتهتكت للمؤمنين ستور

وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى ... فرداً وجاءك مُنكرٌ ونَكيرُ
ماذا تقول إذا وقفت بموقف ... فرداً ذليلاً والحساب عسير
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في ... يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرقت عنك الجنود وأنت في ... ضيق القبور مُوَسَّدٌ مقبور
وودت أنك ما وليت ولاية ... يوماً ولا قال الأنام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة ... في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عريانا حزيناً باكياً ... قلقا وما لك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس ... عافي الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه ... أبداً وأنت معذب مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها ... يوم المَعاد ويوم تبدو العور

عجباً لك يا ابن آدم خلقت من نطفة مذرة ثم تغدو جيفة قذرة وأنت حامل للعذرة ، خلقك ربك فسواك ورزقك وكساك ومن كل خير طلبته أعطاك فطغيت وما شكرت وأذنبت وما أنبت تتنقل من معصية إلى معصية ومن ذنب إلى ذنب حتى غمرتك الذنوب فيا ليت شعري متى تتوب أتظن أن من يتهاون في الصلاة ويتساهل في الفرائض ويصر على المعاصي ويدمن على الخطايا ينجو ويفلح كلا وربي خل عنك الصدود والجحود واحذر الموت المفاجئ فربما يأتيك وأنت قائم وأنت نائم وأنت تلهو وتلعب وأنت تذنب أما ترى صرعة الموت وقتلاه في الشوارع كم حدثت وحدثنا عن سليم مات من غير علة ومعافى مات في فراش نومه فلا تغتر بشبابك ولا تنخدع بصحتك ولا تزهو بغناك ولا تفرط في عمرك الراحل تكون عبد الله حقاً طائعاً له صدقاً .

فيا من غفل ولغى وسهى ولهى وفرط في طاعة رب الأرض والسماء ويا من صد وعن طاعة الله ند تب إلى الله ارجع إليه أقلع وتب فإن ربي رحيم ودود بر رؤوف يغفر الذنب ويقبل التوب ويرضى بالرجوع إليه والأوب قل بقول صائب وبلسان وصوت تائب مثل :-

ويلي من الجبـــــار ويلي ... أركضت في درب الهوى خيلي
ويلي وقد ضيعت أيـــــامي ... باللهو والتفريط والميـــــلي
ويلي إذا مني دنا أجـــــلي ... وتوافد الأحبـــاب من حولي
وتسارعت في الصدر أنفـاسي ... وتدافعت كتدافع السيـــلي
ويلي إذا امتدت يد قدري ... لتنـــــال مني وافـــراً مني
ويلي إذا ما ضـــــمني قبري ... وأحــــــاطني بالرعب ويلي
ويلي من النـــــار التي وعد ... المستكبرون شـــديدة الهول

قال الشاعر :

فوا خجلتي شيب وعيب وقد دنا ... رحيلي ولا أدري علام أعرج
وللمرء يوم ينقضي فيه عمره ... وموت وقبر ضيق فيه يولج
ويلقى نكيراً في السؤال ومنكراً ... يسومان بالتنكيل من يتلجلج
ولا بد من طول الحساب وعرضه ... وهـول مـقـام حَرُّهُ يـتـوهـج
وديان يوم الدين يبرز عرشه ... ويحكم بين الخلق والحق أبلج
فطائفة في جنة الخلد خلدت ... وطائفة في النار تصلى فتنضج
فيا شؤم حظي حين ينكشف الغطا ... إذا لم يكن لي من ذنوبي مخرج

فعليك بالتحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى ؛ محافظاً على شعائر الإسلام ، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها ؛ دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك ، متحلياً بالرجولة ، والمساهلة ، والسمت الصالح .

وملاك ذلك خشية الله تعالى ، ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - « أصل العلم خشية الله تعالى » .

فالزم خشية الله في السر والعلن ؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى

وما يخشاه إلا عالم ، إذن فخير البرية هو العالم ، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً ، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله [١] .

وعن لقمان بن عامر قال : كان أبو الدرداء ﷺ يقول : (إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤس الخلائق فيقول لي : يا عويمر . فأقول : لبيك ربّ . فيقول : ما عملت فيما علمت) [٢] .

والتحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن ؛ سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء ؛ فإنهما للمسلم كجناحي الطائر .

فأقبل على الله بكليتك وليمتلئ قلبك بمحبته ، ولسانك بذكره والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحِكَمِه سبحانه . [٣]

نعى لك ظلّ الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعداً لداعي المنون ... فكل الذي هو آتٍ قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف بحالة من لا يتوب [٤]

وهل أدرك من أدرك من السلف الماضي الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد ، والعمل الصالح ، والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا . . وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها ، كذلك لا تنفع العلوم إلا من عمل بها ، وراعى واجباتها ، فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته فإن الثواء قليل والرحيل قريب والطريق مخوف ، والاغترار غالب والخطر عظيم ، والناقد بصير . والله تعالى بالمرصاد . وإليه المرجع والمآب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] [٥] .

(١) المجموعة العلمية لبكر أبو زيد (١٤٤) .
(٢) العمل بالعلم بين الواقع والواجب (٣٦) .
(٣) المجموعة العلمية لبكر أبو زيد (١٤٥) .
(٤) تعظيم الفتيا لابن الجوزي (٣٤) .
(٥) العمل بالعلم بين الواقع والواجب (٣٧) .

فلا تغتر بالتستر والحيلة ، فإن لله عيوناً من الملكوت ناظرة إليك ، وإن للطاعات عبقاً وشذاً تفوح على أهلها وإن كتموها ، وللمعاصي نتناً وذفراً تفوح على أهلها وإن أخفوها ، وإذا نزعت عن الغواية ، فليكن لله ذلك النزع لا للناس ، وكن تواباً رجّاعاً ، أواباً إلى الله ، عظيم الالتجاء إليه ، والاستعانة بقوته ، وباهر قدرته ، ومتملقاً له ، خاضعاً لجلاله وكن كثير الدعاء [1] .

أخي المسلم ليكن همك كيف يظهر هذا الدين وضاعف جهدك واجعل كل وقتك في الدعوة إلى هذا الدين تسعد واحذر الفتور والتفريط والكسل في هذا الأمر يقول أحد السلف : « العمل للدين شكر لله » فمن أعطى الدين والدعوة إلى الله حثالة أوقاته والقليل من همه فكبر عليه أربعاً وقل للفاترين ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤] فسابق ونافس وأتعب من بعدك في خدمة هذا الدين الذي لا وجود لك إلا به .

فجد أيها المسلم في هذا الأمر وتب وسارع إلى التوبة فيما مضى من تقصيرك في دينك فيما مضى من العمر فليس للعبد مستراح إلا في الجنة تحت شجرة طوبى ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد يوم تقر عينه برؤية الله . وهب من الغفلة واعلم أن خير أيامك وأسعدها يوم العودة إلى الله ﷻ فاصدق في ذلك السير والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى فيه .

وفي قصة كعب بن مالك وتوبة الله عليه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته لقول النبي ﷺ : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » [2] أسأل الله أن نكون ممن يهنأ بذلك اليوم .

أكرر وأؤكد وأبدي وأعيد فأقول أن العلماء وطلبة العلم شيباً وشباناً بأقوالهم وأفعالهم يبينون شرع الله وعلى لغة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) : يوقعون عن الله .

---

(١) ثلاث رسائل للشيخ محمد المانع (١٠٤) .

(٢) البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) .

وإنه ليجدر بمن هذا مقامه أن يكون على حال تتلاءم مع ما يمثله حسن السيرة نقي السريرة متشابه السر والعلن في مدخله ومخرجه وسائر أحواله عدلاً ثبتاً ورعاً صادقاً مراقباً كأنه يراه ، رحماك ربنا نعوذ بك اللهم من أن نكون على خلاف ما يراد منا ويظن بنا من خير .

وعلى طالب الحق أن يستعين بالله ﷻ ويتضرع إليه بالدعاء ليهديه إلى الحق فإنه هو الهادي إلى سواء السبيل وليدع بدعاء النبي ﷺ الذي كان يستفتح به صلاته إذا قام من الليل : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقم » مسلم (٧٧٠) .

هذه عشر نصائح ينبغي أن يستصحبها طالب العلم في طريق الطلب ، وقد إستفدناها من كتاب (حلية طالب العلم) للعلاّمة بكر أبو زيد ، ومن غيره ، مع إضافات :

١ - على طالب العلم في طريق الطلب ، أن يستحضر إخلاص الوجه لله تعالى ، وعليه أن يستصحب نية الثواب والزلفى إلى الله تعالى ، وابتغاء ما عنده في الآخرة ، وضد ذلك الإخلاص إلرياء ، وحب الظهور ، والتطلع إلى التفوق على الأقران ، أو طلب الدنيا من مال أو جاه أو منصب أو شهادة يتوصل بها إلى متاع الحياة الدنيا ، فإن ذلك كله يذهب بركة العلم ، قال بشر بن الحارث رحمه الله (رأيت مشايخ طلبوا العلم للدنيا فافتضحوا ، وآخرين طلبوه فوضعوه مواضعه وعملوا به وقاموا به فأولئك سلموا فنفعهم الله تعالى ... ولقد رأيت أقواما سمعوا من العلم اليسير فعملوا به وآخرين سمعوا الكثير فلم ينفعهم الله به) حلية الأولياء ٨ فيا أخي قبل أن تنهي هذه الرسالة عليك لزاماً أن تقرأ هذه السطور لعظم أمرها وخطورة شأنها ؛ ذلك أنها تذكرك بأمرٍ عظيمٍ ، وخطبٍ جسيم ينبغي أن يكون منك على بال ، وأنت تتقلب في جميعٍ الأحوال ؛ لتتقرب إلى الرب الكبير المتعال سبحانه وتعالى عن الأنداد

والأمثال ، ألا وهو (الإخلاص) نعم . ينبغي أن تجرد عملك من أي حظٍ من الحظوظ سوى رضا المولى سبحانه وتعالى ، فإذا فعلت فأنت السعيد بإذن الله ، وإلا فليس لك من العمل إلا ما أردت ، وإلا ما قصدت . قال قال الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركة » [(١)] وهذا يكون في أي عمل يعمله المرء إلا أن الأمر يكون أشد وأفضع وأخس وأشنع فيمن قرأ القرآن بهذا القصد وتأمل في هذا الحديث العظيم الرهيب ، فعن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شُفَيَّ بن ماتع الأصبحي حدثه « أنه دخل المدينة ف هو برجل قد اجتمع الناس عليه ، فقال من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة . قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ، وهو يحدث الناس . فلما سكت وخلا . وقلت : أنشدك بحق لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول ﷺ عقلته وعلمته . قال : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت مافيه أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة ، ثم أفاق فقال لأحدثنك حديثاً حدثنيه رس ل الله ﷺ فى هذا البيت مافيه أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة ثم مال خاراً علة وجهه ، واشتد به طويلاً . ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله ﷺ « أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى القيامة ليقضي بينهم ، وكل أمه جاثية . فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قُتل في سبيل الله ورجل كثير المال . فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يارب ، قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار . فيقول الله له : كذلت ، وتقول الملائكة كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان قارئ ، فقد قيل ذلك .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج

(١) مسلم (٢٩٨٥) .

إلى أحد ؟ قال بلى يارب ، قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله له كذبت ، وتقول له الملائكة ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان جواد ، وقد قيل ذلك .

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له : فيم قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جريء ، فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتيّ فقال أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة » .

قال الوليد وأخبرني عقبة أن شفيًا هو الذى دخل على معاوية وأخبره بهذا قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية قال فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة فقال معاوية قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدًا . حتى ظننا أنه هالك وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦] الترمذي وابن حبان والمنذري .

فتبًا وبعدًا وسحقًا والله لمن هذه حاله ، وتعس وخسر من هذا حاله ومآله .

٢- وعليه أن يتخلق بأدب التواضع وخفض الجناح ، وضده الخيلاء ، والإعجاب بالنفس ، والتطاول على المعلّم ، والتفاخر على النّاس ، والاستكبار على الإقرار بالخطأ .

٣- وعليه أن يكون ذا سمت حسن ، فلا يلعب ويعبث ويرفع صوته بالسخف وكثرة الضحك ، ولا يتبجح بالطعن في مخالفيه وأقرانه ليظهر تميّزه عليهم .

٤- وعليه أن يتخلق بالرفق ، وضده الكلام الجافي والتعنت والتعسف في معاملة الناس والحكم عليهم .

٥- وعليه أن يعتني بالقرآن عناية تامّة ، ويكثر من تلاوته وحفظه ، ويتخذ له الأوراد من ذكر وصلاة وصيام ونوافل ، فإنّها من أعظم ما يعين الطالب على مقصده من طلب العلم بتوفيق الله تعالى .

٦- وعليه أن يتدرج في منج الطلب ، فيحفظ مختصر من كل فن إن أمكن ، ويضبطه على معلّم حاذق ، ثم ينتقل إلى ما فوقه وهكذا ، وليتجنّب الإشتغال بالمطولات ، والمصنفات المتفرقة قبل أن يضبط أصول العلوم ، ولا يصح في الطلب أن يستعجل طالب العالم الوصول إلى الخلاف العالي قبل المبادئ والأصول التي تحتويها المختصرات ، فإن ذلك يشتته ويذهب كثيرا من العلم وإذا طلب وطلب بلغ) حلية الأولياء ٨١/٧ .

٧- وعليه أن يختار الشيخ المربيّ ذي اللسان الورع ، والخلق الحسن ، المترفع عن إتيان الشبهات ، وعن سفساف الأخلاق ، وعليه أن يحسن معاملته بالسؤال في الوقت المناسب ، والإنصات والحرص على الحضور والمذاكرة .

٨- وعليه أن يختار القرين الصالح الحريص على العلم بآدابه ، وضده اللعّاب البحّاثة عن الخلاف ، والقيل والقال ، المنشغل بما لا يعنيه المتطاول على المسائل الكبار قبل إتقان العلم ، فلا تصاحب من هذا شأنه فإنّه يضيّع عمرك بلا فائدة .

٩- وعليه أن يكون له عناية خاصّة بإقتناء الكتب ، لاسيما كتب السنة والآثار ، وكتب ابن القيم وابن تيميّة ، ومصنفات علماء دعوة الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، وغيرها من الكتب السلفيّة التي تقوم على تقديم الكتاب والسنة وآثار السلف واقتفاء نهجهم والتمسك بالأصول اليت أجمعوا عليها ، فقد جعل الله فيها الخير والبركة .

١٠- وعلى طالب العلم أن يجعل من نفسه هاديا مرشدا للناس ، بالرفق واللين ، وأن يكف لسانه عن عيب المشتغلين بالدعوة ووعظ الناس ، أو بالجهاد ،

أو المتفرغين للتعبد ، أو بغير الفن الذي حُبّبَ إليه من العلم ، فكلّ ميسر لما خُلق له ، وليجعل طالب العلم نفسه مكمّلا لإخوانه الذين نصبوا أنفسهم على ثغور الإسلام الأخرى .

هذا وإن جماع الخير كله إنما هو في الدعاء ، فإذا ألحّ طالب العلم في دعاء الله ، سائلا أن يفتح الله تعالى له برحمته من هذا الباب العظيم ، فتح الله تعالى لى من ذلك ما يشاء ، وإنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله الموفق .

فعلى كل من يعلم حكم الله في مسألة أن يُبينها ويقيم الحجة ويقمع أهل البدعة وخاصة أن الجهل والغلو والمخالفات والاعتقادات لم تقف عند العوام فيكون الأمر سهلًا مقبولا ، ولكنه تعداهم وتجاوزهم إلى من ينتسبون إلى اسم العلم لا إلى مسماه ، ففدح الأمر وجثم الشر على ركبتيه يذود الناس عن الخير كما كما تذاد الإبل العطاش عن موارد الماء .

أخى في الله : إذا أشكلت عليك مسألة فاسأل عنها واحتط لدينك لقوله : عز وجل ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] اسأل العلماء الموحدين الورعين المتبعين للسنة المشهود لهم بسلوك منهج رسول الله .

عبد الله : الأيام تذوي يوما يوما . والعمر ينقضي شيئا فشيئا . والحياة تسير بنا لا تقف لحظة . فهذا الطفل قد نما . وذاك الشاب قد انحنى . وذلك الشيخ قد واراه التراب فملا مهلا بني الإنسان فإن الحياة ليست خالدة . إنها ظل زائل . وعارية مسترجعة أيامها تفنى وزهرتها تيبس .وسعادتها تذهب . ويبقى منها عمل الإنسان . خيره وشره . ويعود الإنسان ليحاسبه الله على عمله خيره وشره . فلا يحسن بك أن تقضي أيامك التي تذهب ولا تعود بما يعود عليك بالحسرة والندم . فاغتنم هذه الساعات . سخرها في طاعة الرحمن . فهي كنز ثمين ثمنه لايقدر بمال . جهل أناس حقيقة الدنيا وغاية وجودهم فيها . فتاهوا حيارى وضلوا في منحنيات الطريق . فلم يفيقوا إلا وملائكة الموت تسل أرواحهم عند ذلك

تذكروا والألم يعصف بالنفوس . والحسرة والندم تعصر القلوب . تذكروا العمر المنقضي فيما لايفيد ولا يجدي . فتأوهوا التأوه الذي لا يغني . وعلموا أنهم ضيعوا الحياة فحينئذ قالوا : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] ، ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون : ١٠] ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] فيا من غفل ولغى وسهى ولهى وفرط في طاعة رب الأرض والسماء يا من صد وعن طاعة الله ند تب إلى الله ارجع إليه أقلع فإن ربي رحيم ودود بر رءوف يغفر الذنب ويقبل التوب ويرضى بالرجوع إليه والأوب .

وأخيرًا وصية لكل مسلم

انتبه من كل نوم أغفلك ... واخشَ ربًّا بالعطايا كفلك
بع له الدنيا بأخرى إنذ مَن ... يشتري الدنيا بأخره هلك
تابع المختار واسلك نهجَه ... فهْو نور من مشى فيه سلك
ثق بمولاك وكن عبدًا له ... إن عبد الله في الدنيا ملك
جدد النَّوح على ماقد مضى ... من زمانٍ بالمعاصي أثقلك
حاسب النفسَ وعلٍّمذها الرضى ... بالقضا واعصِ هواها ترض لك
خذ من التقوى لباسا طيبًا ... إنها خير لباس يمتلك
دوام الذكرَ لخلاقِ الورى ... واترك الأمرَ لمن أجرى الفلك
ذل واخضع واستقم واعبد له ... مخلصًا يفتحْ طريقَ الخير لك
روح النفس له واعكف على ... بابه فهو الذي قد فضلك
زين الباطنَ بالتقوى كما ... تحسن الظاهر تُعطَى أملك
سلم الأمرَ له تسلم فكم ... من فتى قد سلم الأمر سلك

إلى هنا ينتهي ما أردنا بيانه في هذا الأمر الخطير وقد ذكرنا إن شاء الله ما فيه معتبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإن حرص المرء على دينه خير زاجر له عن ذلك ، والله سبحانه تعالى أعلم [١] .

والله أرجو أن يجعله لوجهه خالصاً وأن يكون من العلم النافع الذي يدوم ثوابه بعد الموت سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) زجر السفهاء عن تتبع رخص العلماء لجاسم الفهيد الدوسري (٣٦) .

خاتمة

وبعد :

فهذا جهد من بضاعته مزجاة ، وخفاياه لا تخفى على مولاه ، أسأل الله أن يتجاوز عن الجرأة والتقصير ، وأن يستر بفضله في الدنيا والآخرة سرائر عبده الفقير ، وأن يتقبل هذا العمل على ما فيه ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل له القبول في الأرض ، وأن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه والدال عليه ، وأسأله الدرجات العلى من الجنة آمين .

وبهذا القدر أكتفي وإليه أنتهي .

وبهذا ينتهي ما رمناه ويتم ما أردناه والحمد لله على التمام الذي بنعمته تتم الصالحات .

ثم إلى هنـــا قد انتهيــت وتم ما بجمـــــه عنيت
والحمد لله علـــى انتهائـــي كما حمدت الله في ابتدائـــي
أســـأله مغفـــرة الذنوب جميعها والستر للعيوب

والذي أرجوه ممن يقرأ (هذه الرسائل) أن يلتمس لي العذر فيما قصرت فيه ، وما وجد فيه من صواب وحق فليقبله ولا يلتفت إلى قائله وما وجد فيه من خطأ فليدلني على تصويبه ، وليعلم أني لم آل جهد الإصابة ، ويأبى الله تعالى إلا أن يتفرد بالكمال .

والنقص في أصل الخليقة كامن فبنو الخليقة نقصهم لا يجحد

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً ؟! .

لكن قدره مثلي غيـــر خافية والنمل يعذر في القدر الذي يحمل
يا رب غفراً إن طغت أقلامـــنا يا رب معذرة من الطغـــيان

اللهم إني أبرأ إليك من كل كلمة فيها زلل وأستغفرك حق غفرانك من كل ما جرى به اللسان أو كتبه القلم .

أسأل الله أن يأذن لهذه الرسالة بالقبول عنده وأن ينفع بها وليس وراء القبول

مبتغى ولا سواه مرتجى فاللهم إن مفزعنا إليك لا إلى غيرك فثبت أقدامنا على الحق وبصرنا بأنفسنا ولا تجعل من عملنا لأحد سواك شيئا .

أسأل الله للجميع الهداية والتوفيق إلى صراطه المستقيم وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل بطلا ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله علينا ملتبسا فنهلك اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، كما نَسأله ﷻ أن يَهدينا سَواءَ السَّبيل ، وأن يُؤلّفَ بينَ قُلوب المسلمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . والحمد لله أولاً وأخيراً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعظيم سلطانه ، كما يحب ربنا ويرضى .. وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

لي مطلب من كل قارئ قرأ	أن يستر العيب الذي فيه يرى
من خطأ في السبك والتعبير	فكلـــــنا مظنة التقصير
ولـــيس يخلو أحد من عيب	ثم الدعاء لي بظهر الغيب
يـــدوم خـــــطي زماناً وأنا	تحت التراب ويبقى وجه بارينا
فاعجب لرسم بقي قد مات راسمه	وهذه سنـــة الباري جرت فينا
فرحمة الله تهدى نحو كاتبـــه	يا نـــاظراً فيه قـــل آمين

قاله بلسانه وقيده ببنانه - في غرة جمادى الآخرة بعد الأربعمائة والألف من هجرة نبينا محمد ﷺ -

شيخ كبير له ذنوب تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالي وسودت قلبه الخطايا

العبد الفقير الأقل الراجي من مولاه التجاوز والعفو من كل زلة وخطأ وخطل المنتظر للأجل : أبو عبد الملك : أحمد بن عبد الله السلمي .

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين .

المتمثل قول القائل:

إلـهـي لا تـعـذبـنـي فـإنـي ... مـقـر بـالـذي قـد كـان مـنـي
وما لـي حـيـلـةٌ إلا رجـائـي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا ... وأنـتَ عـلـيّ ذو فـضـلٍ ومـنِ
إذا فكرتُ في ندمي عليها ... عضضتُ أناملي وقرعتُ سني
أجـنّ بـزهـرة الـدنـيـا جـنـونـا ... وأقضي العمرَ فيها بالتمني
ولو أني صدقت الزهدَ عنها ... قلبتُ لأهلها ظهرَ المِجنّ
وبـيـنَ يـديّ مُـحـتـبسٌ طـويـلٌ ... كأني قد دُعيتُ له ، كأني
يـظـنُ الـنـاسُ بـي خـيـراً وإنـي ... لشرُ الخلق ، إن لم تعفُ عني

صدر للمؤلف

١: (الإحداد) و(رسائل أُخرى: الصَّبر، خُطورة الفَتوى، موعظة، كلمة لا بُد منها في أخطر القَضايا وأهمها) تقريظ الشيخ: عبد الله بن جبرين، تقديم الشيخ: سليمان الماجد ١٤١٨ (ط: مكتبة المعارف).

٢: (أخطاءٌ شائعة واعتقادات باطلة تتعلَّق بِشهرِ رمضان وزكاة الفِطرِ والعيدين) بتقريظ الشيخ: عبد الله بن جبرين. وتقديم: الدكتور صالح بن محمد الحسن. ١٤١٦(ط: مكتبة المعارف).

٣: (أَفراحنا وما لَها وما عليها ومُعالجة بَعض الظَّواهر) بِتقريظ الشَّيخ عبد المحسن البنيان. ١٤١٨ (ط: دار الذخائر).

وللكتاب طبعة أُخرى: مَزيدة ومُنَقَّحة ومُخرَّجة الأَحاديث والآثار مع الحكم عليها تَصحيحاً وتَضعيفاً ١٤٢٨هـ (ط: دار ابن خزيمة).

٤: (وَفاةُ سَيِّدِ البَشَرِ: وما فيها مِنَ العِظاتِ والعِبَرِ) ١٤٢٠ (ط: مكتبة المعارف).

٥: (بِدَعٌ وأَخطاءٌ شائِعةٌ في الجَنائِزِ والقُبورِ والتَّعازِي)) تقريظ الشيخ: عبد الله بن جبرين ١٤١٤ (رسالة صَغيرة) (ط: مطابع الكفاح).

٦: (أخلاقٌ على طريقِ الضَّياعِ) ١٤٢٤هـ (ط: دار ابن الجوزي).

٧: (تَزَوَّد للذي لا بُدَّ منهُ) ـ١٤٢٣. هـ (ط: دار القاسم).

٨: (خمسمائة حديث لم تثبت في الصِّيام والاعتِكافِ وزكاة الفِطرِ والعيدَين والأَضاحي) ١٤٢٣هـ (ط: دار ابن الجوزي).

٩: (بِدَعٌ وأَخطاءٌ شائِعةٌ في الجَنائِزِ والقُبورِ والتَّعازِي) تقريظ الشيخ: عبد الله بن جبرين وهو كتابٌ مَبسوط ١٤٢٣هـ (ط: مكتبة المعارف).

١٠: قصص وعبر ووقفات ووصايا وعظات ١٤٢٧هـ (ط: دار ابن خزيمة).

١١: بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور تقريظ الشيخ: عبد الله بن جبرين ١٤٢٧هـ (ط: دار القاسم).

١٢: إتحاف الملاح فيما يحتاجه عاقد النكاح .تقديم الشيخ عبد الله المحيسن ١٤٢٥هـ (ط: دار ابن الجوزي).

١٣: أحاديث لم تثبت في العقيدة والعبادات والسلوك ١٤٢٨هـ (ط: مكتبة الرشد).

١٤: إتحاف الأنام بما يتعلق بالصلاة والسلام على خير الأنام مسائل وفضائل وصيغ بدع

ومواطن وفتاوى وأحكام ويليه ملحق بـ(بيان أحاديث لم تثبت في الصلاة على النبي ﷺ) ١٤٢٨ هـ (ط : دار القاسم) .

١٥ : ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة :

(١) الرسالة الأولى : القوادح العقدية في قصيدة البوصيري البردية .

(٢) الرسالة الثانية : تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات .

(٣) الرسالة الثالثة : إتحاف الأحياء بخلاصة الكلام على أبي حامد وكتابه الإحياء .
تقديم العلامة الشيخ د : عبد الله بن جبرين عضو اللجنة الدائمة سابقا والشيخ د : سعد بن ناصر الشثري عضو هيئة كبار العلماء والشيخ عبد المحسن بن محمد البنيان مدير مركز الدعوة والإرشاد بالدمام سابقا ١٤٢٨ هـ (ط : مكتبة الرشد) .

١٦ : (أخطاءٌ شائعة واعتقادات باطلة تتعلَّق بِشهرِ رمضان وزكاة الفِطرِ والعيدين والاعتكاف وصيام الست من شوال والقرقيعان مع فوائد وفرائد ومواعظ ورقائق) الطبعة الثانية مزيدة منقحة مصححة . (مكتبة المعارف) .

١٧ : تنبيه المشيع للموتى والزائر للمقابر إلى بدع ومخالفات وتنبيهات وملاحظات وعظات ومسائل تتعلق بالمقابر .

وتحت الطبع - بإذن الله - بعض الكتب سهل الله إخراجها .

١٨ : منزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها وأن السلف كانوا يتوقونها وتجرؤ كثير من الناس في هذا الزمان من القول على الله بغير علم تقريظ : صاحب السماحة : مفتي عام المملكة . (مكتبة المعارف) . وهذا هو الكتاب

وسيصدر بإذن الله .

١٩ : القرآن الكريم فضائل . آداب . قواعد . بدع . مسائل فوائد . فتاوى . صفحات ناصعة ونماذج ساطعة لسلفنا الصالح مع القرآن الكريم ويليه : ملحق أحاديث لم تثبت تتعلق بالقرآن الكريم .

الفهرس